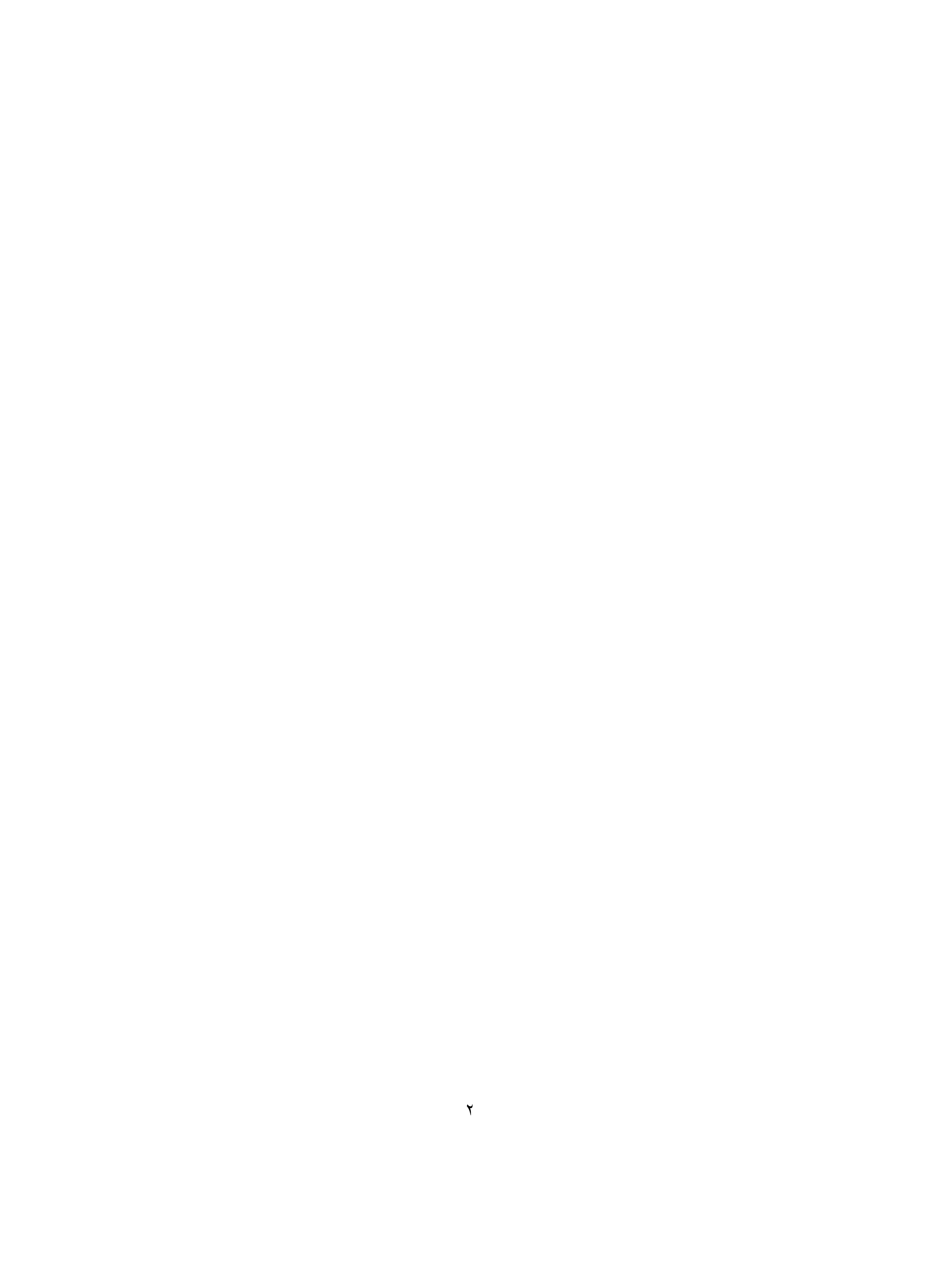
دليل

السياحة الإسلامية
في
المملكة الأردنية الهاشمية

د. نوح مصطفى الفقير

الطبعة الأولى
١٤٣٢-٢٠١١



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/١/١٥٥)

قال الله تعالى

في رسول الله إبراهيم عليه السلام:

{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إلى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} سورة الأنبياء ٧١

فتح رسول الله ﷺ أرض الأردن بنفسه الشريفة صلحاً، وأتمّ فتحها أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل

رضي الله عنهم

أجمعين



الحمد لله؛ والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه وأتباعه، منارات الهدى.

وبعد؛

فقد حظي الأردن بأنه بلد مبارك؛ لأنه من أكنافِ بيت المقدس؛ وفي بيت المقدس وفيما حوله قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[1]؛ فأرض الأردن طهور مباركة، وسماؤه نقيةٌ، وتاريخه ناصعٌ، وجذوره ضاربة في عمق التاريخ لأمتنا الماجدةِ، ولنا فيه من شواهدِ التاريخ الإسلامي الكثيرُ من الذكريات؛ إذ عاش على أرضه أنبياء ومرسلون؛ منهم رسولُ الله لوط عليه السلام؛ الذي أرسله الله تعالى إلى المؤتفكات، وسكن أرض سدوم حول البحر الميت، وسُميت بعض المدن والقرى باسم أبنائه وبناته؛ ومن ذلك الربة في الكرك، وزُغَر في (غور الصافي)؛ وفيها الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وهي القرية المباركة التي نجّاه الله سبحانه وتعالى فيها، قال الله تعالى في رسول الله إبراهيم عليه السلام: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[2]، وسميت عمان باسم عمان بن لوط عليه السلام؛ ومآب باسم مؤاب بن لوط عليه السلام.

ومن الرسل الذين سكنوا الأردن شعيبٌ عليه السلام؛ الذي أرسله الله إلى مدين وأصحاب الأيكة؛ وهي القبائل التي سكنت البلقاء؛ والبلقاء ممتدة من إربد إلى معان؛ فأردنية هي التي جاءت تمشي على استحياء وقالت لأبيها: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ}[3]، وماء مدين مشهور في مؤتة حيث شهدت تلكم الطاهرة أن موسى عليه السلام قوي أمين.

وعاش هارون وموسى عليهما السلام بين مأدبا والبتراء، وفي قلعة مكاور آثار رسول الله يحيى عليه السلام، وعاش رسول الله إلياس عليه السلام في لستب من عجلون؛ انتقل إليها من بعلبك، وهي إلى اليوم تسمى باسمه مار إلياس، وفي اربد قبرُ

---

١ . سورة الإسراء ١.
٢ . الأنبياء ٧١.
٣ . سورة القصص ٢٦.

أم موسى بن عمران عليه السلام، وقبور أربعة من أولاد يعقوب عليه السلام، وفي الأردن مقامان منسوبان لنبيين؛ هما رسول الله نوح عليه السلام في الكرك، ورسول الله هود عليه السلام في جرش، وسكن يوشع بن نون عليه السلام في البلقاء.

وأما خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ فمن أشهر آثاره في الأردن:

١. شجرة الباقوعية في الصفاوي التي تهصرت أغصانها عليه قبل نبوته ﷺ، وتضوّع عطره تحتها.

٢. جرش التي دخلها ﷺ مرتين قبل النبوة؛ أثناء تجارته لخديجة رضي الله عنها؛ كما روى البيهقي في السنن الكبرى[1].

٣. صومعة الراهب بحيرى في أم الرصاص من مأدبا؛ التي طعِم فيها مع عمه أبي طالب.

٤. ثلاثة مواقع أردنية؛ فتحها رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة؛ هي:

(١) أيلة (العقبة): إذ لما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة ملك أيلة؛ فصالح رسول الله ﷺ؛ وأعطاه ﷺ بردة مع كتاب؛ أماناً لأهلها، والعقبة هي بلد لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم.

(٢) أذرح والجرباء، وقد جاء أهلها كما جاء يحنة بن رؤبة؛ فصالحوا الرسول ﷺ.

وفي الأردن سكن بعض أتباع الأنبياء؛ كأهلِ الكهف، والثلاثة الذين أغلق عليهم الغار، وتقربوا إلى الله تعالى بالطاعات، في الرجيب قرب عمان.

ودخل الإسلامُ أرض الأردن بدخول ثلة من الصحابةِ الأطهار الكرام؛ وانبعثت اشراقاتُهم في الأرجاء؛ ومن أولهم سفير النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي ﷺ؛ ومقامه بجانب الطفيلة، وفي الطفيلة الشهداء كعب بن عمير الغفاري قائد سرية ذات أطلاح وأصحابه رضي الله عنهم.

وعلى الثرى الطهور جرت سرايا وغزوات ومعارك؛ فسرية ذات أطلاح الآنف ذكرها، وغزوة مُؤْتة التي تابعها رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة، وخطط لها القادة الصحابة الشهداء، وما زال الأردن يزدهي بمقامات حب رسول الله ﷺ زيدٍ، وذي الجناحين جعفَر، والنقيب الشاعر ابنِ رواحة، بالإضافة إلى أحد عشر صحابياً هم باقي شهداء مؤتة، لا تُعرف مقاماتهم في مؤتة في المزار الجنوبي؛ رضي الله عن شهداء مؤتة أجمعين.

ولقد زار الأردن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وهو في طريقه إلى فتح بيت المقدس؛ كما زارها لمّا حلّ بها طاعون عمواس.

---

١ . السنن الكبرى ١١٨/٦.

وفي شمال الأردن آثار معركة اليرموك، وعطر شهدائها الأبرار، ومنهم أربعة شهداء بنوا تمثال الإيثار فيه، ومقام الراكب المهاجر عكرمة ﷺ بجوار الهاشمية في عجلون، ومنهم عشرون صحابياً هم باقي شهداء اليرموك؛ وقد ذكروا في كتب التاريخ الإسلامي، وتشهد أرض فحل في الأغوار الشمالية بمجريات معركة فحل الشهيرة، وتشهد أرض الكرامة النصر الذي حققه الأردنيون عام ١٩٦٨م.

والأردنيون يتنسمون عطرَ الصحابة شهداء طاعون عمواس، وقائدهم أمين الأمةِ أبو عبيدة، ويلتمسون البركَة من شهيد الأقحوانة[١]، وأعلمِ الأمةِ بالحلالِ والحرامِ معاذِ بن جبل وابنه عبد الرحمن رضي الله عنهما بجوار الشونة الشمالية، ويتنافسون في حُسنِ القيادة، متأثرينَ بفاتحِ الأردن وقائد معركة فحل شرحبيلَ بنِ حسنة ﷺ، وضريحه في وادي اليابس في الغور الشمالي، وضريح الصحابي الجليل ضرار بن الأزور ﷺ في دير علا، وضريح الصحابي الجليل عامر ابن أبي وقاص ﷺ في بلدة وقاص، وغيرهم من الأفذاذ الأطهار الأبطال، وقد سميت القرى بأسمائهم، كلٌ حيث دفن.

ولقد ولد بعض الصحابة الكرام في الأردن، وعاصروا العهد الزاهر؛ عصر النبوةِ الأغر؛ ومنهم فروة الجذامي ﷺ، وسيمونةُ البلقاوي ﷺ، وعبدُالله بن حوالة الأردني ﷺ[٢]، وغيرهم ممن سطعت أنوارهم فيه، وأشرقت بوجودهم سماؤه؛ وتزيّنت بهم أرضه.

وفي وادي السير مقام منسوب للصحابي الجليل بلال بن رباح ﷺ، وقد سميت القرية باسمه (بلال)، وفي الطفيلة مقام الصحابي جابر الأنصاري ﷺ والقلعتان غرندل والسلع، وحمامات عفرا.

ومن التابعين المنسوبين للأردن التابعي الجليل عبادة بن نُسَي قائد جنود الأردن، والتابعي الجليل نعيم بن سلامة السبائي؛ كاتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، والتابعيان الجليلان عروة بن رويم اللخمي، وعتبة بن حكيم الهمداني.

ولقد تأسست في الأردن مدارسٌ للقرآن وللحديث؛ منها مدرسةُ الأيليين في العقبة، ومنها رواة الحديث النبوي الشريف، وقلعتها مدرسة إسلامية؛ أستاذها المحدّث

---

١ . الأقحوان هو البابونج، سميت بهذا الاسم لكثرة هذا النوع من النبات فيها.

٢ . قال البخاري: له صحبة، وصاه الرسول ﷺ أن يسكن زمن الفتن في الشام؛ والأردن جزء من الشام في التاريخ؛ فقد روي عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس؛ فقال: (يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجناداً مجندة، جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن، فقال ابن حوالة: يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين، وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليها من صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غُدُرِه فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله) رواه الطبراني ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد من طريق ضمرة بن حبيب؛ وزاد قول الرسول ﷺ: (ليفتحن عليكم الشام والروم وفارس، حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن النعم كذا وكذا، حتى يعطي أحدكم مائة دينار فيسخطها، توفي عبدالله بن حوالة ﷺ سنة ثمان وخمسين؛ وقيل: مات سنة ثمانين، وبه جزم ابن عبد البر في الاستيعاب٣/ ٨٩٦.

الزهري رحمه الله، ومدرسة معان ومنها الأزدي المعاني، ومدرسةُ القرآن في المفرق؛ وقد أنجبت قرية رحاب ابنَ عامر اليحصبي؛ وهو أحد القراءِ السبعة، وفيها مسجد أيوبي، وشهابَ الدين الدجاني من الدجنية، وقلعة القطرانة مدرسة علمية؛ وفيها مقام الشيخ حامد العطار، ومحطتها لرعاية حجاج بيت الله، والحسا سكنها الفقيه ابن سحمان الشريشي، وقلعتها محطة استراحة للحجاج، وحصن لحمايتهم.

ومدرسةُ عجلون أنجبت العجلوني الجراحي؛ صاحب كتاب كشف الخفاء، ومن قُرَى عجلون برز العلماء؛ فابنُ خطيب عذراء ولد في لستب، وشهاب الدين الباعوني في باعون، ومحمد بن خليل الجعفري في عين جنة.

ومدرسةُ الكرك ومنها البرهان الكركي، وقلعتها جوهرة الصحراء مليئة بالآثار عامرة بالمشاهد، ومدرسة الشوبك، ومنها يوسف بن دانيال الشوبكي، وابن أبي الهيجاء، وقلعتها حصينة.

ومدرسة الرمثا، ومن علمائها الحسن بن علي بن سرور، وأحمد بن موسى الرمثاوي، وهي إحدى محطات الحج.

ومدرسة البلقاء؛ والعلماء البلقاويون منهم صحابةٌ وتابعون، ومن الصحابة الصحابيان الجليلان سيمونة وعطية السعدي رضي الله عنهما، وولده التابعي الجليل محمد بن عطية، وحفيده عروة بن محمد، ومن العلماء البلقاويين العلامة محمد بن عبدالله الصلتي، والشيخ نعمة الصفدي من علماء بني صخر.

ومدرسة إربد؛ ومنها شرف الدين القاضي قاسم بن محمد الإربدي، وشهابُ الدين الجمّال الملكاوي، من بلدة ملكا، والزراعي الحُبراصي من حبراص، وعلاء الدين الحَبكي من حَبَكا، وعبد الغني الجُمْحي من جمحى، ومن علماء الطيبة عبدالرحمن الطَّيبي، والمهندس محمد الطيبي، وهو الذي بنى مقام معاذ ﷺ، والعز القدسي من علماء كفر الماء في دير أبي سعيد.

ومنهم من نسب إلى الأردن؛ كالتابعي الجليل نعيم بن سلامة الأردني، ومنهم نسب إلى عشيرته كالجذامي، أو إلى مهنته كعبادة بن نُسي قاضي طبرية، وقائد جيوش الأردن.

ولقد تميّز بعض العلماء الأردنيين بالقيادة السياسية والعسكرية؛ كالذين ولدوا أو عاشوا في الحميمة؛ وبها قبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وهي منطلق الدولة العباسية، التي سكنها التابعي الجليل علي بن حبر الأمة عبدالله بن عباس، رضي الله عنهم، ووُلد له فيها أكثر الخلفاء والقادة العباسيين؛ كالسفاح وأبي جعفر المنصور، وفيها المسجد العباسي؛ والموقر وبها مقام الخليفة يزيد بن عبدالملك؛ فيشهد التاريخ بعظم هذا المكان المنيف.

والقلاع الإسلامية في الأردن كثيرة شهيرة؛ كالقصور الإسلامية في الصحراء الأردنية، ومنها قصر المشتّى؛ وواجهته إلى اليوم في برلين، وقصر الخرانة، وقصر عمرة، وعين السل، وقلعة الكرك والمعروفة بجوهرة الصحراء، وقلعة عز الدين أسامة الرابضة على جبل عوف في عجلون، وقلعة القطرانة، وقلعة العقبة، ذات التاريخ العريق، وفي الزرقاء مسجد قديم داخل قصر الحلابات، وفي الأزرق قصر بناه القائد الإسلامي عز الدين أيبك الأيوبي، وفي اربد قلعة دار السرايا التي بناها العثمانيون.

وأما مدن الديكابولس العشر فمنها مدن أردنية، وهي غنية بالمعالم الإسلامية؛ ففي العاصمة عمّان الفيض الكثير من الآثار والقلاع، وجرش زارها رسول الله ﷺ وفتحها شرحبيل ﵁، وازدهرت في العصر الأموي، وفي إيدون والحصن مدرسة علمية، وفي أم الجمال - الواحة السوداء - سكن الأمويون والعباسيون، وفي بيت راس تل الخضر عليه السلام، وأم قيس (جدارا) فتحها شرحبيل ﵁، وحافظ على آثارها، وحرثا قويلبة (أبيلا) فيها آثار إسلامية.

ولقد رأينا الأردنيين بتلك الأمجاد والآثار محتفين محتفلين، يرفعون المآذن والقباب، ويشيّدون المقامات والآثار، ويرسمون السير والأمجاد، ويسطرون البطولات بماء الذهب، ويفتخرون بالثلة الطاهرة النقية، استنطاقاً لبطولات الأجداد، وتشيداً لصروح المجد التي بدت جلية في الأردن؛ يحكون حالهم، وينطقون بألسنتهم، ويكتبون بأقلامهم، ليكون كلٌ منهم نبراساً يسير عليه مبتغو الهداية، وطالبو الاسترشاد إلى سواء السبيل، وليكون فخراً للمفتخرين، ونموذجاً للمقتدين.

أرض الأردن مباركة



الأُرْدنُّ في اللغة العرب المكان ذو الهواء الطيب؛ فقد ذكر الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات[1] الأردن؛ وقال: (قال أهل العلم: إنما سُمي بذلك في قولهم للنعاس الثقيل: أردن؛ فسُمي بذلك لثقل هوائه)، وذكر ياقوت الحموي[2] بعضاً من المعاني اللغوية لهذا الاسم الأنيق، وناقش تلك المعاني وحلّلها، ورجّح فقال: (الظاهر أن الأردن الشدة والغلبة؛ ومنه سمي الأردن بهذا الاسم، وأهل السير يقولون: إن الأردن وفلسطين ابنا سام بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، والأردن أحد أجناد الشام، وأهل السير يطلقون الأردن على مناطق شاسعة واسعة؛ منها الغور وطبرية وصور وعكا، وما بين ذلك، قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف: هما أردنان؛ أردن الكبير وأردن الصغير؛ فأما الكبير فهو نهر يصب إلى بحيرة طبرية، بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلاً، تجتمع فيه المياه من جبال وعيون، فتجري في هذا النهر، فتسقي أكثر ضياع الأردن، مما يلي ساحل الشام وطريق صور، ثم تنصب تلك المياه إلى البحيرة التي عند طبرية، وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة، فهذا النهر - أعني الأردن الكبير - بينه وبين طبرية البحيرة، وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية، ويمر نحو الجنوب في وسط

---

١ . تهذيب الأسماء واللغات١٨/٣ .

٢. معجم البلدان ١/ ١٤٩.

الغور، فيسقي ضياع الغور، وأكثر مُستغلتِهم السكر، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق، وعليه قرى كثيرة؛ منها بيسان وأريحا والعوجاء وغير ذلك، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة، ذات طاقات كثيرة، تزيد على العشرين، ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك، فيصيران نهراً واحداً، فيسقي ضياع الغور، وللأردن عدة كُور؛ منها: كورة طبرية، وكورة بيسان، وكورة بيت رأس، وكورة صور، وكورة عكا، وغير ذلك، وللأردن ذكر كثير في كتب الفتوح).

يحتل الأردن في وسط العالمين الإسلامي والعربي مركزاً استراتيجياً مرموقاً، كدأبه في جميع العصور، منذ أن افتتح النبي ﷺ العقبة وأذرح والجرباء بنفسه، وافتتح شرحبيل ؓ باقي مدن وقرى الأردن في العام الثالث عشر من هجرة المصطفى ﷺ؛ ففي خلافة الصديق ؓ افتتح الأردن شرحبيل وصالحه أهل طبرية، بعد أن حاصرهم أياماً فآمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر ؓ، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم، فسيّر إليهم أبو عبيدة جيشاً في أربعة آلاف بقيادة عَمرو بن العاص ؓ؛ ففتحها على مثل صلح شرحبيل ؓ، وكذلك جميع مدن الأردن وحصونها على مثل هذا الصلح، فتحاً يسيراً بغير قتال، وبرزت أهمية الأردن خاصة إبان الحروب الصليبية، فنشأت بها دويلات، وحصون، ومعاقل تبادلها الصليبيون والمسلمون[١].

والحاصل أن الأردن من الأرض المباركة، التي تقررت بركتها في القرآن الكريم؛ إذ قال سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[٢]، والأردن حول الأقصى، والأقصى مع سائر فلسطين من الأردن في التاريخ.

ولقد جاء في البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام[٣]؛ فضمت في أحضانها من الأنبياء والشهداء ما لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى، وأُغدق عليها الخيرات، التي كانت سبباً في الطمع فيها، فتناهشها الاستعمار، وتكالب عليها الحاسدون.

وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[٤]، والأرض هنا أبواب بيت المقدس وما حولها؛ وبذلك تكون الأردن من ضمن الأرض المباركة بالتأكيد.

١ . القاموس الإسلامي أحمد عطية ١/ ٦٦.
٢ . سورة الإسراء ١.
٣ . صحيح البخاري كتاب المغازي.
٤ . سورة الأنبياء ٧١.

العاصمة عمان

أحدى مدن الديكابولس العشر

ومن آثارها المسجد الحسيني والمدرج الكبير والقلعة

وبجوارها أهل الكهف ومقام الصحابي الجليل بلال بن رباح ﵁

العاصمة عمان أكبر مدن الأردن هي إحدى من الديكابولس decepolis العشر[1]، وهي قصبة أرض البلقاء، قال السمعاني[2]: (عمان مدينة البلقاء)، وهي مدينة قديمة، ترتفع ٧٥٠ متراً عن سطح البحر، وتتكوّن من جبال كثيرة، كان اسمها ربّة عمّون أو فيلادلفيا، وهي واحدة من أقدم المدن التي لا زالت مأهولة، ازدهرت في أيام الرومان، وورد اسمها في الحديث الشريف؛ فعن ثوبان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شَربَة لم يظمأ بعدها أبداً)[3]، قال ياقوت الحموي[4]: (قيل إن عمان هي مدينة دقيانوس- الذي فتن أصحاب الكهف - وبالقرب منها الكهف، والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم)؛ أقول: يقع الكهف في الضواحي الشرقية لمدينة عمان اليوم.

دخلت عمان في الحكم الإسلامي منذ العام الثالث عشر الهجري، الموافق للعام الرابع والثلاثين وستمائة للميلاد؛ في عهد أبي بكر الصديق ﵁؛ إذ اعتنى بها الخلفاء المسلمون أيما اعتناء، وحافظوا على آثارها.

كانت عمان مركزاً تجارياً، ومحطة استراحة، للمسافرين؛ فقد ذكرها التابعي الجليل الشاعر ابن عبيد السلمي المتوفى ١٣٠ هـ / ٧٤٧ في شعره؛ فقال[5]:

حَنَّت بأبواب عَمَّانَ القطاةُ[6] وقد   قضى به صحبها الحاجاتِ والوطرا

---

١ . الديكابولس decepolis تحالف روماني يوناني، ضم أهم المدن في منطقة بلاد الشام؛ وهي كلمة مكونة من كلمتين (ديكا) ومعناها عشرة، و(بولس) ومعناها مدينة، فمعناها (المدن العشر)، وقد ضم هذا التحالف أهم المدن الواقعة على أطراف الإمبراطورية الرومانية في سوريا وفلسطين، ويجمع تلك المدن أمور؛ منها: اللغة والثقافة والموقع والوضع السياسي، وكانت مدن التحالف مركزاً للثقافة؛ إذ أرادت الحكومة الرومانية أن تزدهر ثقافتها في أقصى ما وصلت إليها إمبراطوريتها؛ لذلك شجعوا على نمو تلك المدن العشر، وسمحوا لهم ببعض الاستقلال السياسي؛ فكانت كل مدينة شبه دولة، ولها سلطة ما على ما يحيطها من المناطق الريفية المجاورة، ويربط المدن العشر شبكة طرق، ويرجح أن المدن قد نشأ بينها روابط تجارية قوية عززتها تلك الشبكة من الطرق الرومانية الجديدة، وفي الأردن مدن منها؛ هي فيلادلفيا (عمان)، وأبيلا (حرثا)، وجراسيا (جرش)، وجدارا (أم قيس)، وكانتا أم الجمال، طبقة فحل، ودايون -تل الحصن وإيدون- وبيت رأس.

٢. الأنساب ص٣٩٩.

٣. رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن ثوبان ﵁، وقال السيوطي: صحيح

٤. معجم البلدان ٤/ ١٥١.

٥ . معجم مقاييسُ اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارِس ٤ / ١٢.

٦ . اسم ناقة الشاعر.

وقال المقريزي: (في سنة ٧٥٧هـ عمرت مدينة عمان من البلقاء للأمير صَرْغَتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد، وهي بلد قديم من بناء عمان ابن أخي لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط، وقيل هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف)[١].

ويظهر أن عمان كانت مدرسة علمية في الإسلام، ولذلك ينسب إلى عمّان كثير من العلماء رواة الأحاديث النبوية الشريفة؛ الذين سطعت أنوارهم على ثراها، وتنسموا عليلها، ومن هؤلاء الأفاضل السائب بن أحمد، والسائب بن عمر، وقاضي عمان حفص بن عمر[٢] وأبو دفاقة[٣] ومحمد بن كامل العمّاني[٤].

ومن أشهر آثار عمان:
أولاً: المسجد الحسيني الكبير: يقع وسط عمان، وقد ذكر العلماء أنه جامع يشبه المسجد الحرام شكلاً، وأنه مرصع بالفسيفساء؛ قال الرحالة البشاري المقدسي المتوفى عام ٣٨٠هـ الموافق ٩٩٠م: (عمّان على سيف البادية، ذات قرى ومزارع، ورستاقها[٥] البلقاء، وهي معدن الحبوب والأنعام، بها عدة أنهار، وأرحِيَة يديرها الماء، ولها جامع ظريف في طرف السوق، مفسفس الصحن، شبه مكة)[٦].



١ . السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢٢٦.
٢. الأنساب٣٩٩.
٣. تاريخ دمشق ٣٥١/٨ .
٤. معجم البلدان ١/ ٢١٤.
٥ . الرّستاق السواد الذين يقطنون حول مجتمع الناس، أي: الضواحي
٦ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٥.



والمراد بكونه شبه مكة أن تصميم البناء القديم للمسجد يشبه تصميم البناء القديم للمسجد الحرام بمكة، وما زالت ترتفع مآذن مسجد في وسط عمان في الموقع نفسه، وهو المسجد الجامع الذي أقيم الآن مقامه المسجد الحسيني الكبير، واختلفت الأقوال في اسمه القديم؛ فقد يطلق عليه بعضهم المسجد العمري، بينما يسميه آخرون المسجد الجامع، وسمّي بالمسجد الأموي، والعباسي، واسمه المتفق عليه حالياً المسجد الحسيني الكبير؛ نسبة إلى الشريف حسين بن عون رحمه الله، إذ يوجد الآن فوق الباب الخارجي الأوسط نقش يؤرخ لبناء هذا المسجد في عهد سمو الأمير عبدالله بن الحسين؛ نصه: (أمر ببناء هذا المسجد عبد الله ابن أمير المؤمنين الحسين بن علي بن محمد بن عون إبان إمارته على نواحي الأردن عام ١٣٤١ هجرية) .

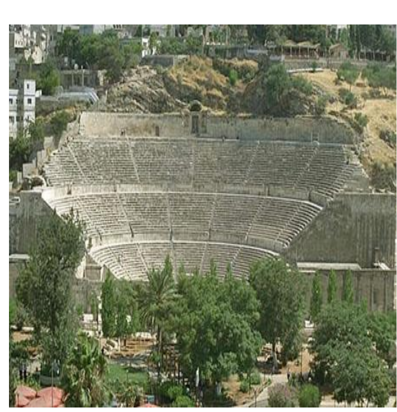


ثانياً: المدرج الكبير: هو المشهور بالروماني، والظاهر أنه ملعب رسول الله سليمان عليه السلام، قال الرحالة البشاري المقدسي وهو يصف عمان: (بها قصر جالوت على جبل يطل عليها، وعليه مسجد، وملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[1]، وقال

١ . **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٥.**

المقريزي في عمان: (بها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[1] ، وليس المراد بالملعب هنا مكان لهو، وإنما هو لتعلّم فنون المصارعة وآلة الحرب والفروسية.





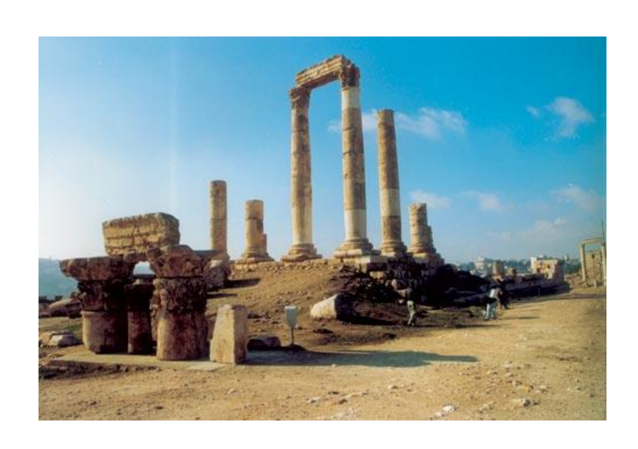
ثالثاً: القلاع الشهيرة على جبل القلعة: يوجد آثار كثيرة على جبل القلعة الذي يطل على المدرج الكبير؛ وفي التاريخ أخبار كثيرة عنها؛ فقد سميت بقصر جالوت؛ قال الرحالة البشاري المقدسي وهو يصف عمان: (بها قصر جالوت على جبل يطل عليها)[2]، وجالوت هو الذي قتله رسول الله داود؛ كما ورد في القرآن؛ قال الله تعالى: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ}[3].



وذكر الإصطخري[4] أن في عمان دار ضيافة لزبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، وأنه ليس بالشام دار ضيافة غيرها، وزبيدة هي التي توفيت سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م- وهي من فضليات النساء وشهيراتهن.

---

١ . السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢٢٦.
٢ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٥.
٣ . سورة البقرة ٢٥٠-٢٥١.
٤ . المسالك والممالك ١ / ٢٥.



رابعاً: مسجد ومقامات أهل الكهف بجوار عمان: أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم؛ وفرّوا من القوم الذين اتخذوا من دون الله آلهة؛ قال الله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}[1]، وقد قصّ الله تعالى قصتهم؛ واختلف العلماء في مكان الكهف؛ قال ابن حجر: (اختلف في مكان الكهف فالذي تضافرت به الأخبار أنه في بلاد الروم، وروى الطبري أنه بالقرب من أيلة، وقيل: بالقرب من طرسوس، وقيل: بين أيلة وفلسطين، وقيل: بقرب زيزاء، وقيل: بغرناطة من الأندلس).



ويرجح أن الكهف المشهور في الأردن بجوار عمان الأقوال الآتية:

١. قال ياقوت الحموي[2]:(قيل إن عمان هي مدينة دقيانوس- الذي فتن أصحاب الكهف - وبالقرب منها الكهف، والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم).

٢. قال ابن شداد[3]: (البلقاء بلد به الكهف والرقيم، وعنده مدينة يقال لها عَمَّان بها آثار قديمة).

---

١ . سورة الكهف ٩.

٢. معجم البلدان ٤/ ١٥١.

٣ . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ابن شداد ١ / ١١٠.

٣. قال المقريزي: (عُمّرت مدينة عمان من البلقاء للأمير صَرْغَتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد، وهي بلد قديم من بناء عمان ابن أخي لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط، وقيل هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[١].

٤. قال القزويني: (بلقاء: كورة بين الشام ووادي القرى، بها قرية الجبارين ومدينة الشراة، وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم)[٢].

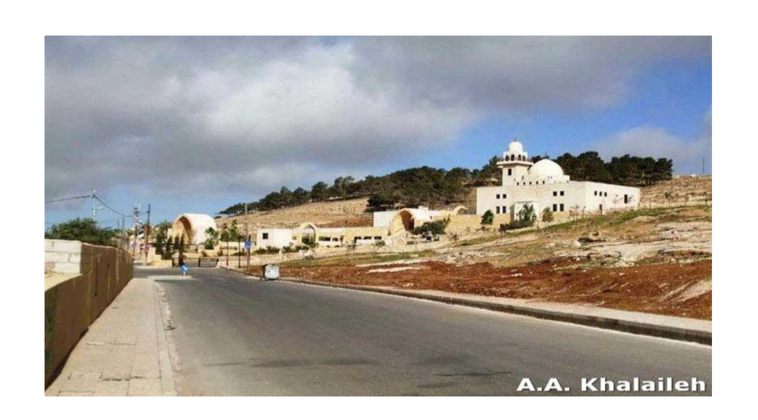


ويقال: إن الكهف في البتراء؛ وعن ابن عباس: ({أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} قال: الرقيم: واد بين عُسْفان وأيَلة دون فلسطين، وهو قريب من أيَلة)[٣]، وقال ابن العربي[٤]: (قَالَ قَوْمٌ: إنَّ الْكَهْفَ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ عَلَى قُرْبٍ مِنْ وَادِي مُوسَى، يَنْزِلُهُ الْحُجَّاجُ إذَا سَارُوا إلَى مَكَّةَ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ: {أَمْ حَسِبْت أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ}، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ بَابَ حَدِيثُ الْغَارِ، وَذَكَرَ عَلَيْهِ خَبَرَ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمْ الْمَطَرُ إلَى غَارٍ، وَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: وَاَللَّهِ لَا يُنْجِيكُمْ إلَّا الصِّدْقُ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ).

ولعلهما– قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الغار- قد حدثتا في الكهف المشهور في عمان، وأما ما يقوله العلماء من كونه في البلقاء فلأن مصطلح البلقاء يشمل البلاد من مؤتة إلى إربد، وقد يشمل أكثر من ذلك، والله تعالى أعلم.

---

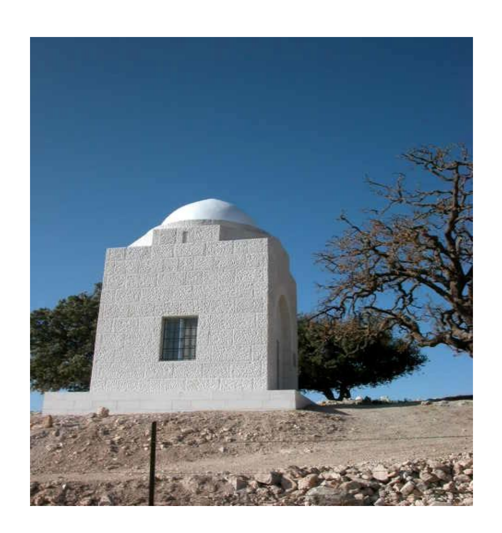
١ . السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢ / ٢٢٦.
٢ . آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ١ / ٦١.
٣ . تفسير الطبري ١٧ / ٦٠٢.
٤ . أحكام القرآن لابن العربي ٥ / ٣١٣.



يقع الكهف ضمن مقبرة قديمة؛ في أراضي (أبو علندا)، وقد حفرت قبورهم في سفح الجبل، ويفتح المدخل على قاعة مركزية تتفرع عنها ثلاثة محاريب؛ مسقوفة، وتوجد سبعة مدافن حجرية في الكوتين الشرقية والغربية، مزينة بزخارف هندسية ونباتية، وتغطي جدران الكهف الداخلية كتابات يونانية وعربية بالإضافة إلى بعض الرسومات، كما يوجد في الموقع مسجدان قديمان؛ يقع الأول فوق الكهف مباشرة، ويمكن رؤية محرابه فوق مدخل الكهف، أما الثاني فيقع في الساحة أمام الكهف، وقد يعود تاريخ بناء المسجدين إلى الفترة الأموية؛ إذ وجد العديد من الكتابات في المسجدين وداخل الكهف، تشير إلى محاولات كثيرة لإعادة بناء وتجديد الأبنية على امتداد الفترات الإسلامية، وتوجد بالإضافة إلى المسجد في ساحة الكهف الأمامية شجرة زيتون قديمة، ومعالم معصرة زيتون عند زاوية المسجد الجنوبية الغربية، وفي عام ٢٠٠٧م بُني عليه معهد الملك عبد الله الثاني لإعداد الدعاة وتدريبهم، وقد روعي في التصميم العديد من العناصر المعمارية الإسلامية المتميزة، وتقدّر مساحته الإجمالية (١٥٠٠م٢).



خامساً: مقام بلال بن رباح ﷺ في قرية بلال في وادي السير: بلال بن رباح ﷺ[1]؛ مؤذن رسول الله ﷺ، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهد بدراً، وعاش بضعاً وستين سنة، وهو من أول سبعة أظهروا إسلامهم، وشهد له النبي ﷺ بالجنة، فعن أبي بريدة قَالَ: (أصبحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فدعا بلالاً فقَالَ: يا بلالُ بِمَ سبقتني إلى الجَنَّةِ؟ ما دخلتُ الجَنَّةَ قطُّ إلاَّ سَمِعْتُ خَشخَشَتَكَ أمامي، دخلتُ البارحةَ الجَنَّةَ فسَمِعْتُ خشخشتكَ أمامي، فأتيتُ على قصرٍ مُربَّعٍ مُشْرِفٍ من ذهبٍ، فقلتُ لمن هَذَا القصرُ؟ قَالُوا لرجلٍ من العَربِ، فقلتُ: أنا عربيٌّ لمنْ هذا القصرُ؟ قالوا: لرجلٍ من قُريشٍ، فقلتُ: أنا قُرشيٌّ، لمن هَذَا القصرُ؟ قَالُوا لرجلٍ من أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقلتُ أنا مُحَمَّدٌ لمن هَذَا القصرُ؟ قَالُوا لعُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، فقَالَ بلالٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ ما أذَّنْتُ قطُّ إلا صلَّيتُ ركعتينِ، وما أصابني حدثٌ قطُّ إلاَّ توضأتُ عندها ورأيتُ أنَّ للَّهِ عليَّ ركعتينِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمَا)[2].



شارك بلال ﷺ في اليرموك على أرض الأردن، واختلف العلماء في مكان وفاته؛ قال ابن إسحاق: توفي بلال ﷺ سنة عشرين بدمشق، وقيل: بحلب، وقيل: غير ذلك، وله مقام في وادي السير في قرية سميت باسمه (بلال)، ولعله عاش في هذا المكان، ولم يدفن فيه، والفرق واضح بين المقام والضريح في هذا المجال، والله تعالى أعلم.

---

١ . سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٤٧، الطبقات الكبرى ابن سعد: ٣ / ١ / ١٦٥، الاستيعاب: ٢ / ٢٦.
٢ . رواه الترمذي: أبواب المَنَاقِبِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

آثار البلقاء

ضريح النبيين شعيب ويوشع عليهما السلام

والعلماء البلقاويّون منهم صحابة وتابعون ومن الآثار قلعة السلط

البلقاء بجوار عمان، كانت تنسب عمان إليها؛ فيقال: (عمان البلقاء)، وقد وردت عمان بهذه النسبةِ في الحديث النبوي الشريف؛ إذ قال رسول الله ﷺ: (حَوْضِي من عَدَنٍ إلى عَمّانَ البَلْقَاءِ)[١].

سميت البلقاء بهذا الاسم بسبب جمالها، فهي من البَلَق، وهو سوادٌ وبياض، وهذا يعني الألوان المزدهية الكثيرة، والخيرات الوفيرة.



قال ياقوت في البلقاء [٢]: (قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يُضرب المثل، ذكر هشام بن محمد عن الشرقي بن القطامي أنها سميت البلقاء؛ لأن بالق من بني عمان ابن لوط عليه السلام عمرها[٣]، ومن البلقاء قرية الجبارين[٤] التي أراد الله تعالى بقوله:{إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ}[٥]، وقال قوم: بالبلقاء مدينة الشراة؛ أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم، وذكر بعض أهل السير أنها سميت ببلقاء بن سويد من بني عسل بن لوط عليه السلام، وأما الاشتقاق فهو من البلق، وهو سواد وبياض مختلطان، والبلق أيضاً الفسطاط).

١. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال السيوطي: صحيح.

٢. معجم البلدان ١/٤٨٩، وانظر (مختار الصحاح للرازي ص ٣٨)

٣ . سكنها.

٤. أريحا.

٥. المائدة ٢٢.

كانت البلقاء كثيرة القرى، كما هي اليوم، لكنها في السابق أوسع منها اليوم، تمتد من اربد شمالاً إلى مؤتة جنوباً إلى أريحا غرباً، واسعة المزارع، يضرب المثل في خصبها، ووفرة مائها، والبلقاء اليوم محافظة وسط الأردن ممتلئة مدناً وقرىً.

كانت غزوة مؤتة أول بعث إلى البلقاء، ثم بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ابن حارثة رضي الله عنهما إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء؛ يعني مؤتة، وأرسل الصديق رضي الله عنه الجيوش إلى الشام[1]؛ فنزل يزيد ابن أبي سفيان البلقاء، ونزل شرحبيل رضي الله عنه بالأردن ويقال: ببصرى، ونزل أبو عبيدة رضي الله عنه بالجابية، ويقال: إن أبا عبيدة رضي الله عنه لما مرّ بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه، وكان أول صلح وقع بالشام، وفي عهد هشام بن عبد الملك ولّى صفوان بن سلمة على البلقاء، ووليها بعده ولده علي بن صفوان في زمن السفاح[2].

ولقد ذكر المؤرخون أسماء نخبة من العلماء من أهل البلقاء بوصف البلقاوي؛ ومنهم:

الصحابي الجليل سَيمَويه البلقاوي رضي الله عنه**:** وقد ورد اسمه في كتب الصحابة[3]، وكان من التجار الذين كانوا يحملون القمح إلى المدينة المنورة؛ فعن الربيح بن صبيح قال: حدثني سَيمَويه؛ قال: أتيت النبي ﷺ، وسمعت من فيه[4] إلى أذني، وحملنا قمحاً من البلقاء إلى المدينة، فبعنا وأردنا أن نشتري تمر المدينة فمنعونا، فأتينا النبي ﷺ فأخبرناه، فقال لهم النبي ﷺ: (أما يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر؟! ذروهم يحملونه)[5]، وهذا من رحمة النبي ﷺ بالأمة، ودعوته لتيسير أسباب المعيشة، وكان سيمويه رضي الله عنه قبل إسلامه نصرانياً من رؤوس النصارى، وكان شماساً[6]؛ فقدم المدينة المنورة، ورأى رسول الله ﷺ، وسمع منه، وأسلم، وعاش رضي الله عنه مائة وعشرين سنة.

ومن علماء البلقاء الصحابي الجليل عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه وولده التابعي الجليل محمد وحفيده عروة؛ الذي كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على اليمن، ومنهم مهدي بن إبراهيم، ويحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي، وأبو زيد البلقاوي، شهد فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والإمام الحافظ أبو الخير؛ الزُبيدي البلقاوي الأصل التَرمُلي، وقريش بن المستنير بن المستهل أبو فراس الربعي البلقاوي، وحفص بن حفص ابن أبي السائب البلقاوي، موسى بن سهيل الرملي، محمد بن كثير المصيص، أسود بن مروان البلقاوي، زكريا بن عمرو، الشيخ أمين الدين محمد البلقاوي المعروف بالجلوتي.

---

١ . يطلق مصطلح الشام على ما بعد تبوك ويتجاوز دمشق من جهة الشمال.
٢. الإصابة ٣٩١/٦.
٣. كتاب الاستيعاب ٢/ ٦٩٢، أسد الغابة ٣٨١/٢، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٦٩٤/٢.
٤. فمه.
٥. كنز العمال للهندي رقم الحديث: ٣٧١٤٠
٦ . الشماس في اصطلاحات النصارى هو الذي يحلق وسط رأسه، ويلزم الكنيسة، كسائر الشماسين

إن هؤلاء الأفذاذ من علماء الحديث ينسبون إلى البلقاء؛ مما ينبئ عن أن هذه الكورة من الأردن كانت خصبة علمياً، كما كانت خصبة زراعياً.

ومن آثار البلقاء المشهورة:

أولاً: مسجد وضريح رسول الله شعيب في وادي شعيب: وهو من نسل مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ورد اسمه في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وهو من أنبياء العرب مع هود وصالح ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.



أرسله الله تعالى إلى مدين، قال سبحانه وتعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}[1]، وكانوا قوماً عرباً يسكنون مدين؛ وهي قرية من أرض معان.



١ . سورة الأعراف ٨٥.

وهو ممن هاجر مع إبراهيم عليه السلام إلى ارض الشام[1]، ويقال: أُرسل شعيب إلى أمتين مختلفتين؛ أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، والجمهور على أن أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة؛ والأيك شجر ملتف؛ فقد نسبوا إلى غيضة كانوا يسكنونها[2].



ولرسول الله شعيب عليه السلام مقام مشهور في البلقاء[3]؛ يقع على الطريق المؤدي إلى الأغوار الوسطى من مدينة السلط في وادي شعيب.



ويذكر أن لشعيب عليه السلام مقاماً في حطين، والراجح أن مقامه بالأردن حيث تدل المسميات بجوار ضريحه على أنه عاش في هذه المنطقة، فمجيء موسى عليه السلام من مصر إلى معان أوفق في الرحلة من مصر إلى حطين.

ثانياً: ضريح ومسجد يوشع بن نون عليه السلام في البلقاء: وهو فتى موسى عليه السلام، وهو نبي، وقد وردت قصتهما في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[4]، ويوشع عليه السلام هو الذي فتح أريحا بعد وفاة موسى عليه السلام، وصلها قبل غروب الشمس؛ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: (أَنْتِ

---

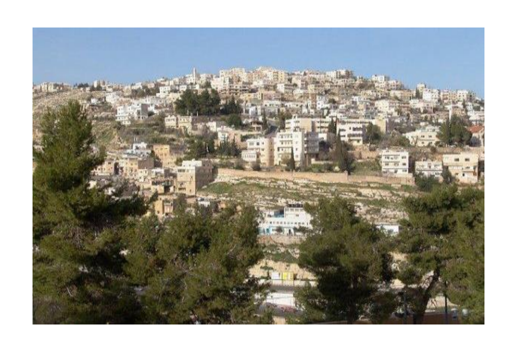
١ . البداية والنهاية ١/١٨٤.
٢ . المفردات الراغب الأصفهاني ص٣٠.
٣ . الأعلام للزركلي ٣ / ١٦٥.
٤ . سورة الكهف ٦٠.

مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئاً، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ)[1]؛ قال النووي: يقال: إنَّ الَّذي حبست عليه الشَّمس: يوشع بن نون.



يقع المسجد على رابية من روابي مدينة السلط؛ قال ياقوت[2]: (صَرَفَةُ: قرية من نواحي مَآب قرب البلقاء يقال: بها قبر يوشع بن نون)، ويقع المسجد إلى الغرب من عمان، وهو بناء قديم يرجع تاريخه إلى العصر العثماني، وتمت توسعته حديثاً بمساحة إجمالية (١٤٠٠م٢).

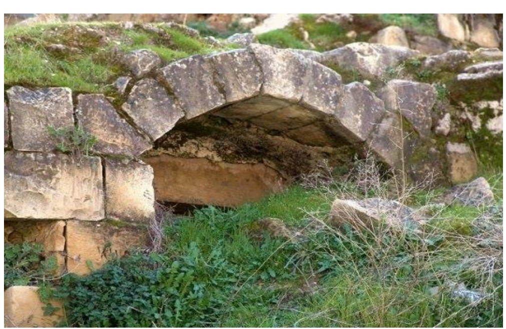
ثالثاً: قلعة السلط: السلط مدينة من البلقاء، تُذكر في كتب التاريخ كثيراً؛ ويقال: (هي على الطريق البري من عمان إلى أريحا)، وقال الزركلي[3]: (الصلت شرقي الأردن)، كذا قال: (الصلت) بالصاد والتاء، والمشهور الآن أنها (السلط) بالسين والطاء، ولا يوجد الآن بلد مشهور في شرق الأردن يسمى الصلت، والظاهر أنها كانت معروفة في التاريخ بهذا الاسم؛ ثم تبدلت الحروف لكثرة الاستعمال وتغير اللهجات، فأضحت السلط؛ وهو المشهورة الآن.



---

١ . رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير؛ باب تحليل الغنائم لهذه الأمّة خاصّة.
٢ . معجم البلدان ٣ / ٨٨.
٣ . الأعلام ٦/ ٢٣٦.

أنعم الله على أرض السلط بخضرة خلابة، وبكثرة المياه والينابيع، التي تجود بالمياه العذبة الصافية؛ وهي غنية بجمالها، وكثرة مواقعها الأثرية، التي تؤكد تاريخ السلط العريق.



والقلعة فيها موقع أثري؛ تلك التي تحتل مكانها في الجهة الشمالية الشرقية، وتوحي أساساتها الباقية أنها من العصر القديم، وهي من أكثر المدن أهمية منذ الأزل، وكانت توصف بأنها غرة البلقاء وكرسيّها؛ ومن العلماء الذين نشأوا في السلط محمد بن عبد الله الصلتي؛ ومحمد الهكاري[١] سنة (٧٨٦هـ).



١ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/ ٨٥.

معالم محافظة مأدبا
صومعة الراهب بَحيرى في أم الرصاص
وسوق الحجيج والبركة العظيمة في زيزياء وقصة يحيى عليه السلام في مكاور

أرض مأدبا سهلة فسيحة؛ وخصبة خضراء، وفيها ذكريات الأنبياء؛ كرسول الله يحيى وموسى وعيسى عليهم السلام، وآثار جبل نيبو تشهد على ذلك.
ومن آثار محافظة مأدبا:
أولاً: صومعة الراهب بحيرى في أم الرصاص: كان الرسول محمد ﷺ قبل البعثة يمر في طريق تجارته من الأردن؛ وكان يرافق عمّه في التجارة وهو صغير؛ يتعلّق بعمه أبي طالب، وكان عمّه يقول: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، فصحبه مرّة، ولما بلغ الشام نزل الركبُ بقرب صومعة الراهب بحيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ولا يَعرضُ لهم، وفي ذلك العام تغيّر الحال؛ لأنه لمّا نظر من صومعته رأى عجباً؛ إذ رأى طفلاً من بين القوم، وعليه غمامة تظله.



فنزل بحيرى من صومعته، وصنع لهم طعاماً كثيراً، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم؛ صغيركم وكبيركم وعبدكم وحُرّكم؛ فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم؛ فما كنت تصنع هذا بنا! وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت؛ قد كان ما تقول، ولكنكم ضيفٌ، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا إليه، وتخلّف ﷺ من بين القوم لحداثة سِنه؛ وبقي في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم يرَ صاحب الصِفة التي يعرفها ويجدها عنده

في كتبه، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي؛ قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك، إلا غلام وهو أحدث القوم سناً، فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده؛ قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما سأله باللات والعزى لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فقال ﷺ له: لا تسألني باللات والعزى؛ فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله؛ في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى: ما هو بِابْنِك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً؛ قال: فإنه ابن أخي؛ قال فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، احذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده[1].

وفي الروض الأنف: (جاء – الراهب – فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة - من الثنية - لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً؛ ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة)[2].

هذه أشهر الروايات[3] في قصة الراهب بحيرى، وقد ردت بأسانيد متعددة، وصححها العلماء، قال العجلوني[4]: (قال البيهقي هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى لها شواهد).

وفي تاريخ دمشق ذكر ابن عساكر أن الراهب بحيرى (كان يسكن البلقاء بقريةٍ يقال لها: ميفعة وراء زيزاء، وأنه توفي قبل بعثة النبي ﷺ)[5]؛ هكذا قال ابن عساكر، وتعرف اليوم بأم الرصاص، وفيها آثار كثيرة، ومنها صومعة الراهب المذكورة والله تعالى أعلم.

---

١ . سيرة ابن هشام ١/١٨٠.

٢ . الروض الأنف للسهيلي ١/٣١٢.

٣ . الترمذي ٤/٤٩٦، دلائل النبوة للبيهقي ١/٤٠٧، والحاكم في المستدرك ١٢ / ٦١٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق٦/١٨٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٢٠ .

٤ . كشف الخفاء ١/١٤٠.

٥ . مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢/ ١٦٣.

ثانيا: سوق الحجيج والبركة العظيمة في زيزياء (الجيزة): الزِّيزاءُ في اللغة العربية هي الأَكَمَةُ الصغيرة[1]، وهي أرض فسيحة مفتوحة؛ بجوار مأدبا، كان محطة استراحة لحجاج بيت الله، قال ياقوت: (زَيْزَاءُ من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج، ويقام بها لهم سوق، وفيها بركة عظيمة)[2]، ويُذكر أن الذين بنوها قبيلة المصري؛ يقال: (إنهم أعقاب من تخلف من جيش إبراهيم باشا[3] بعد انسحابه من فلسطين، كانوا يقطنون سابقا غزة، ورحل قسم منهم إلى شرقي الأردن، وشرعوا في استثمار الأرض التي بجوار مأدبا، ثم بنوا عليها قريتي زيزياء، وسحاب[4])، فقام بتجهيز أربعة ألوية لأربعة قادة وأمرهم أن يسلكوا طرق القوافل؛ حيث سلك أبو عبيدة طريق وادي القرى ثم ذات المنار، ومنها إلى معان، ثم إلى مؤاب حيث التقى مع الروم بين زيزياء وعمان وانتصر عليهم.

ازدهرت زيزياء في العصر الأموي كغيرها من مناطق البادية؛ فقد كانت من المنازل المشهورة على طريق الحجاج، وكان الوليد في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يتخذ منها مكانا للصيد والنزهة، وينزل على بركة زيزياء.



بقى الحجاج في العصر القديم يمرون بها للتزود بالماء، وتتخذ شكلاً شبه مستطيل؛ تبلغ أبعاده (٨٧×٧٤) متراً بينما يبلغ عمقها ١٧,٥ قدماً، وتتقدمها مصفاة لتنقية المياه من الترسبات الطينية قبل دخولها إلى البركة، وما تزال هذه البركة بحالة جيدة إلى يومنا هذا.

ثالثاً: وادي الموجب: وادي الموجب عميق؛ يفصل بين محافظتي مأدبا والكرك.

---

١ . لسان العرب ٥ / ٣٥٨.
٢ . معجم البلدان ٢ / ٤١٢.
٣ . إبراهيم (باشا) المذكور في النص قائد، من ولاة مصر، وأصله تركي، أرسله محمد علي سنة ١٢٤٧هـ بجيش إلى سورية، فاستولى على دمشق وحمص وحلب، وانقادت له بلاد الشام، وفي سنة ١٢٥٤ هـ تولى السلطان عبد المجيد، فاتفق مع الانكليز على إخراج إبراهيم من سورية، فانتهى الأمر بخروجه وعودته إلى مصر توفي ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م.
٤ . تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص ٢٥١، معجم قبائل العرب كحالة ٣ / ١١٠٤.



وقد وصف الإدريسي الطريق إلى مؤتة فقال: (تمرّ منها إلى عمان فيما بين شعبي جبل؛ يقال له الموجب، وهو واد عظيم عميق القعر، ويمر فيما بين هذين الشعبين، وليسا بمتباعدين، وذلك يمكن أن يكون بمقدار ما يمكن أن يكلم إنسان إنساناً وهما واقفان على ضفتي النهر فيسمع بعضهما بعضاً، ينزل فيه السالك ستة أميال ويصعد ستة أميال أيضاً)[1].



رابعاً: قلعة مكاور وقصة رسول الله يحيى عليه السلام: رسول الله يحيى بن رسول الله زكريا عليهما الصلاة والسلام، يتصل نسبه بوالده اتصالاً ثابتاً في القرآن الكريم، إذ اقترن اسمه باسم والده فيه، كما اقترنت قصته بقصته أيضاً، ويسميه النصارى يوحنا المعمدان.

١ . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١ / ١١٤.

وقرية مكاور هي قرية صغيرة تقع جنوب غرب مدينة مأدبا، وترتفع ٧٣٠م عن سطح البحر، وتطل على البحر الميت، ضمن منطقة مترامية بالتلال والهضاب والوديان، وبنيت القلعة سنة ٩٠ قبل الميلاد؛ لتكون حصناً منيعاً؛ لصد غزو الأنباط العرب، اتخذها هيرودس بداية القرن الأول للميلاد قصراً للاستجمام والراحة، ولم يبق اليوم غير بقايا القلعة، وهي مشهورة بأسوارها، وأبراجها، وقنواتها، وأعمدتها، وضخامة حجارتها، وقد عثر فيه على أقدم قطعة فسيفسائية في الأردن، ويعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، وتعود شهرتها إلى الاعتقاد بكونها المكان الذي سجن فيه يحيى عليه السلام، وقطع هيرودس رأسه، بما يعرف بـ"المشنقة"، وكان قد بدأ بدعوته من منطقة المغطس حيث كان يقيم عليه السلام، وأما قصة قتله فقد كانت عبارة عن هدية من الملك هيرودس لزوجته؛ إذ كان يريد أن يتزوج بنتها، فأبى يحيى عليه السلام، فغضبت واستوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه، وفار دمه، وظلّ دمه يفور حتى قُتل عليه من بني إسرائيل الكثير، وانتقم الله منهم، ولعل هذه القصة مذكورة في أكثر كتب التاريخ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١]، واختلف المؤرخون في مكان قتله[٢] ولا ينفي أن تكون قصة الذبح قد حدثت في مكاور، كما لا تنفي أن يكون عاش في مكاور أو فيما جاورها، والله تعالى أعلم.



١. قصص الأنبياء ابن كثير٢ /٣٦٢.
٢. تاريخ الطبري ٢ / ١٥والبداية والنهاية ٦٦/٢ .

معالم محافظة الكرك

آثار رسول الله لوط عليه السلام في الربة وغور الصافي وأضرحة الصحابة وغزوة مؤتة وشهداؤها والقلاع الإسلامية فيها

تقع محافظة الكرك جنوب المملكة، قال ياقوت الحموي: (كَرَك اسم لقلعة حصينة جداً، في طرف الشام، من نواحي البلقاء، في جبالها، بين أيلة وبحر القُلزُم[1] وبيت المقدس، وهي على سن جبلٍ عالٍ، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض)[2]، يريد قلعة الربض، التي تربض على أعلى قمةٍ في عجلون، وكانت تعرف بكرك الشوبك، وهناك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام، تسمى كرك نوح، وشتان بينهما في المسافة، ومن علماء الكرك الأردنية المشهورين إبراهيم بن موسى، وولده برهان إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي، ومن آثارها:

أولاً: آثار لوط عليه السلام في البحر الميت ومآب والربة وفيها مقام أبي عبدالله الهاشمي وعين زغر المباركة: لوط ابن أخ إبراهيم عليهما السلام، عاصره، وعاش في كنفه، وآمن به؛ وهاجر معه إلى بيت المقدس؛ قال الله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[3]، ثم نزح عن عمه الخليل عليه السلام بأمره وإذنه، فنزل بمدينة سدوم[4]، وهي منطقة حول البحر الميت ، وكهف لوط عليه السلام ما زال يشهد.

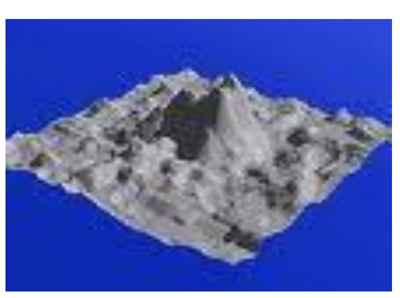


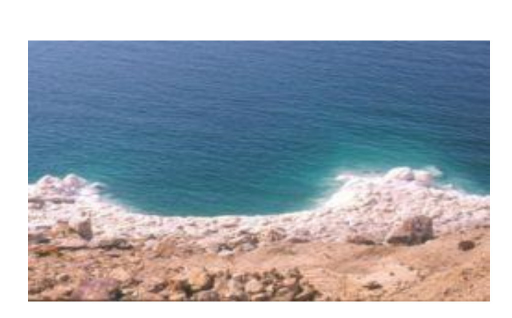
وليس لرسول الله لوط عليه السلام مقام معروف في الأردن، ولكن البحر الميت يسمى باسمه؛ فيقال: (بحيرة لوط)، وما جاوره من الأرض هي أرض سدوم، وكان

---

١. البحر الأحمر، سمي بهذا الاسم لوجود بلدة على ساحله تسمى القلزم.
٢. معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.
٣ . سورة الأنبياء ٦٩-٧١.
٤. سَدُوم: بفتح السين وضم الدال. أنظر: الصحاح، الجوهري ٥ /١٩٤٩.

يسكنها المؤتفكات، وهم الذين قلب الله تعالى فيهم أرضهم؛ قال تعالى: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}[1]، والأرض المقلوبة هي قعر البحر الميت الآن، والصور التي تلتقطها الغواصات لقاع البحر الميت تظهر حقيقة الموقع.





ولقد سميت بعض الأماكن بأسماء أولاد لوط عليه السلام؛ ومن ذلك:

١. **زُغَرُ المباركة في غور الصافي نجّى الله فيها لوطاً عليه السلام:** تقع زُغَرُ غرب مدينة الكرك، قال ياقوت[2]: (قرية بمشارف الشام.. وقيل: زُغَرُ اسم بنت لوط عليه السلام؛ نزلت بهذه القرية فسميت باسمها[3])، وقيل: عين بالبلقاء[4]، وقيل إن فيها الحجر الذي ضربه موسى فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً[5].

وفيها عين صغيرة ضئيلة، ويُخبر من حولها من السكان أنها كانت فيما مضى دفاقة الماء قوية الجريان، ويسميها أهلها بلهجتهم: (العين الزغيرة)؛ أي الصغيرة، وقد جاءَ ذكرها في حديث الجساسة، وأنها تغور في آخر الزمان، وغورها من علامات الساعة[6]، وقد وردت القصة في صحيح مسلم[7].

وعاش في زغر القارئ محمد بن الحسن أبو الطيب الزغري[8].

---

١ . سورة النجم ٥٣.
٢ . معجم البلدان ٢ / ٣٩٦.
٣ . وانظر صبح الأعشى للقلقشندي ٢ / ٨٨.
٤ . تاج العروس للزبيدي ١ / ٢٨٨٨.
٥ . الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ١ / ١١٢.
٦ . خريدة العجائب وفريدة الغرائب ١ / ٦٧.
٧ . صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصّة الجسّاسة .
٨ . غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٣٣٣.



٢. **قرية الرّبة مرّ منها لوط عليه السلام ودفن ابنته فيها وفيها مقام أبي عبد لله الهاشمي وآثار القلعة التاريخية:** قال ياقوت الحموي: (الربة قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاءِ)[١]، كان اسمها "رّبة مؤاب" أي عاصمة مؤاب؛ فالربة المدينة الرئيسة، ويقال: إنها سميت بهذا الاسم بسبب دفن ربة بنت لوط عليه السلام فيها؛ قال ابن أبي حاتم: (خَرَجَ لُوطٌ عليه السلام مِنْهَا بِبِنَاتِهِ وَهُنَّ ثَلاثٌ، فَلَمَّا بَلَغَ مَكَانًا مِنَ الشَّامِ مَاتَتِ الْكُبْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الرَّبَةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى إِذْ بَلَغَ مَكَانًا آخَرَ مَاتَتِ الصُّغْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الزّغْرِيَّةُ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْوُسْطَى)[٢]، ومثل هذا قال ياقوت الحموي[٣].



ولقد عاش في الربة من العلماء أبو عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الهاشمي[٤]، ومن آثار الربة مقام ينسب للإمام زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو عبارة عن كومة من الحجارة، يظهر فوقها نقش كتب عليه: (هذا القبر المبارك قبر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عمله العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان القانوني)، وقد استشهد زيد ﷺ في عهد هشام بن عبد

١ . معجم البلدان ٦/١٠٧.
٢ . تفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٠٧.
٣ . معجم البلدان ٦/١٠٧.
٤ . تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٦٧ / ص ٤٣.

الملك، وقد يعود هذا النقش في تاريخه إلى العهد التركي، وقد تم نقل هذا النقش إلى متحف المزار الإسلامي في مزار الكرك، ومعروف أن زيداً هذا هو الذي يُنسب إليه الزيدية؛ ففي نسبة المقام إليه شك، والذي يظهر لي أن هذا هو مقام أبو عبد الله الهاشمي، والله تعالى أعلم.

وفي بلدة الربة موقع أثري؛ ويدل ما بقي من البناء على أن الموقع هو أساس قلعة قديمة .



٣. **مآب سميت باسم مؤاب بن لوط عليه السلام:** مَآب بِلادٌ شَرْقِيّ الْبَحْرِ الْمَيِّت، ويقال: مؤاب اسْمٌ لابْنِ لُوطٍ عليه السلام، ومن نسله شَعْبُ مُؤَابٍ، الَّذِي أُعْطِيَ اسْمُهُ لِهَذِهِ الْبُقْعَةِ، ومَآب هِيَ السَّرَاةُ – الشراة- الَّتِي تَمْتَدُّ بِمُحَاذَاةِ الْغَوْرِ الأُرْدُنِّيِّ مِنْ الشَّرْقِ، وَتَقَعُ عَلَيْهَا مُدُنُ كثيرة؛ منها الْبَتْرَاءُ، وَالْكَرْكُ، وَالسَّلْطُ، وَعَجْلُون، وَرُبَّمَا جُرَشُ وَعَمَّانُ، قال المقدسي البشاري[١]: (أما الشراة فجعلنا قصبتها زغر، ومدنها مآب، ومعان، وتبوك، وأذرح، وأيلة، ومدين)، وقال ياقوت[٢]: (مَآبُ في اللغة المرجع، وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء)، وقال الطبري[٣]: (أول صلح كان بالشام صلح مآب، مرّ أبو عبيدة بها في طريقه، وهي قرية من البلقاء، فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم.

ثانياً: القطرانة القلعة مدرسة علمية ومحطتها لرعاية حجاج بيت الله والطريق السلطاني: مدينة القطرانة جنوب عمان على بعد نحو ٩٠ كم، وعرفت في التاريخ بأنها محطَّة مُهمَّة على طريق الحجّ، وفيها قلعة القطرانة، التي بنيت في عام ٩٣٧هـ/١٥٣١م، خصوصاً لحماية طريق الحج، حيث أن هذه القلعة كانت إحدى المراحل الرئيسية على طريق الحج؛ مثلها مثل القسطل، وزيزياء، وقلعة الحسا، وتقع على الطريق التي أمر بشقِّها السلطان سليمان القانوني، وتسمّى اليوم الطريق

١ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١ / ٥٧.
٢ . معجم البلدان ٤ / ٣١.
٣ . تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢ / ٢١٠.

السلطاني؛ فالموقع مرتبط ارتباطاً جذرياً بالحج، وقد استعملها الأتراك نقطة إستراتيجية عسكرية، وقد قام رحالة عديدون بزيارتها ومنهم ستزن الألماني، وبيركهارت السويسري، والألماني برونوف عام ١٨٩٨م، ونستنتج من تقارير هؤلاء الرحالة أنها كانت قائمة منذ عام ١٨٠٥م، وربما تكون قد بنيت قبل ذلك.

وقلعة القطرانة مستطيلة صغيرة، وأسوارها مُجهَّزة بالفتحات، وكوىً – جمع كوّة- إطلاق السهام، وفيها النوافذ الكاشفة، ويقع مدخل القلعة في الواجهة الجنوبية الشرقية، وترتفع البوابة حوالي ٣ أمتار، ويعلوها شرفة للمراقبة.



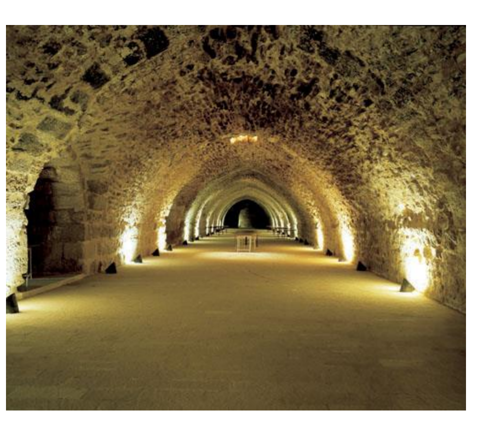
وذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار[١] أن في القلعة دفن الشيخ حامد بن أحمد بن عبيد العطار الشافعي الأشعري.

ثالثاً: مقام رسول الله نوح عليه السلام: يوجد في الكرك مقام لنبي الله نوح عليه السلام، وأهل التاريخ يتفقون أنه لم يبعث في هذه المنطقة؛ ولكن قرب الأردن من بيت المقدس هو الذي يؤكد لنا مروره منها، وقد يكون قد قضى فترة فيها؛ وهو حفيد إدريس عليه السلام، كان بينه وبين آدم عشرة قرون[٢] ، ومما تجدر الإشارة إليه وجود مقام لنبي الله نوح في الشام؛ في بلد يقال لها (كرك نوح).

١ . حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١ / ٢١٦.
٢. البداية والنهاية، ١ / ١٠١.




رابعاً: جوهرة الصحراء استولى عليها الظاهر بيبرس وهي مليئة بالآثار عامرة بالمشاهد: قلعة الكرك حصن منيع؛ قال ابن بطوطة [1]: (هو من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها، ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته، وله باب واحد؛ قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد، ومدخل دهليزه كذلك، وبهذا الحصن يتحصن الملوك، وإليه يلجأون في النوائب).

إنها من القلاع ذات الأهمية، وهي من أقدم وأضخم القلاع في منطقة الشرق الأوسط؛ بناء ضخم مستطيل الشكل طوله من الجهة الشرقية ٢٢٠ متراً، ومن الجهة الغربية ٢٤٠ متراً، أما الجهة الجنوبية فيبلغ طولها ٨٥ متراً، والشمالية التي تقع فيها البوابة الرئيسية للقلعة، ولها أربعة أسوار لا زالت جميعها قائمة، وإن كانت بعض الأبراج قد اعتراها التغيير، بفعل ما تعرضت له المنطقة من زلازل متلاحقة، أو نتيجة الحروب والحصار، أو بسبب عوامل الزمن، وتتألف القلعة من الداخل من جزأين رئيسيين؛ الجزء الأسفل ويقع في الجهة الغربية على يمين الداخل للقلعة، والجزء الأعلى ويقع على يسار الداخل من جهة الشرق.

---

١ . رحلة ابن بطوطة ١ / ٥٠.

تاريخ القلعة: شهدت القلعة أحداثاً تاريخية كبيرة فرضتها طبيعة القلعة؛ ومنها:

١. أنه تعاقب عليها المؤابيون والأشوريون والأنباط واليونان والرومان والبيزنطيون، ودخل المسلمون الأردن، وظلت الكرك في العصر الإسلامي محمية، واشتهرت المنطقة كافة بالتحركات السياسية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي الدولتين الأموية والعباسية.

٢. احتلتها قوات الصليبين، واشتهرت إبان الحروب الصليبية، وأقام الملك بولدين الأول المتوفى ٥٠٩ هـ حصناً؛ لحماية الحدود الجنوبية الشرقية لمملكة بيت المقدس، وأطلق عليها الصليبيون اسم (جوهرة الصحراء)؛ وكانت الكرك مركزاً للمملكة الصليبية، وكانت تلك المملكة مشهورة بالتهور وخرق المعاهدات، وكانت تتعرض لقوافل التجار والحجاج، وتشن حملات على شواطئ البحر الأحمر، وبلغت الغطرسة أنها حاولت تهديد مكة المكرمة؛ الأمر الذي دفع صلاح الدين الأيوبي إلى استجماع قواه العسكرية، ونجح في طرد الصليبين منها، بعد أن ظلت القلعة في قبضة الصليبين مدة تزيد عن أربعين سنة.

٣. أصبحت هذه القلعة حصنا أيوبياً، بعد قتل حاكمها أرناط وذلك عام أربع وثمانين وخمسمائة (٥٨٤ هـ /١١٨٨م)، واستخدم صلاح الدين القلعة موقعاً عسكرياً، وبذلك أمكنه السيطرة على وادي عربة وخليج العقبة، بالإضافة إلى حصن الشوبك، وقد مكّن الحصنان الصليبين من قطع الاتصال بين مصر والشام، والسيطرة على طرق القوافل، وعلى حقول القمح في الكرك وطرق التجارة، وجعلها السلاطين عاصمة لمملكتهم، وقاموا ببناء المدارس، ودور العلم، ومراكز الاستشفاء، وبنوا الأبراج الجديدة لتحمي القلعة من هجمات الأعداء، وطمسوا المعالم الصليبية فيها؛ مما أعادها قلعة إسلامية.

٤. استولى الظاهر بيبرس على القلعة سنة ١٢٦٢م، وبرزت النقوش الإسلامية على جدران القلعة باسمه؛ فعلى أحد الأبراج: (إنها عمارة مولانا السلطان، الملك الظاهر، السيد الأجل الكبير، العالم العادل المجاهد، المرابط المؤيد المظفر المنصور، ركن الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيد الملوك والسلاطين، ناصر الحق مغيث الخلق ملك البحرين، صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين، محيي الخلافة المعظمة، ظل الله في الأرض، قسيم أمير المؤمنين بيبرس بن عبدالله الصالحي أعز الله أنصاره)، وفي الفترة المتأخرة من نهايات الدولة المملوكية تعرضت لغزوات القبائل البدوية، ولم تكن تحت سلطة مركزية في ذلك الوقت، وأضحت القلعة منفى سلاطين المماليك، وكان أول المنفيين إلى الكرك من سلاطين المماليك أحد أبناء السلطان الظاهر بيبرس؛ وذلك عام ١٢٧٩م، ونُفي إليها محمد بن قلاوون عام ١٢٩٣م، ومن الكرك عاد محمد بن قلاوون للكرسي مرة أخرى عام ١٣٠٩ م، وبقي للكرك هذا الوضع الغريب طوال دولة المماليك.

٥. عام ١٥١٦م تمت سيطرة العثمانيين عليها، وأصبحت حامية تركية، وأعيد استخدامها مركزاً للجند، بعد أن دُمر جزء كبير منها أثناء احتلالها.
٦. في العصر الحديث شهدت المزيد من التطوير والتحسين وأعمال الصيانة التي شملت مرافق القلعة وأسوارها وأبراجها.

خامساً: أرض مُؤْتة شهدت غزوة تابَعها رسولُ الله ﷺ بنفسه الشريفة وخطط لها القادة الصحابة الشهداء: مُؤْتة[١] بلدة عريقة، يذكرها المؤرخون على أنها من قرى البلقاء[٢]، وكذلك في البخاري: (باب غزوة مؤتة من أرض الشام)، وبها كانت تطبع السيوف، وإليها تنسب المشرفية من السيوف، قال كُثير:

إذا الناس ساموكم من الأمر خطة لها خطمة فيها السمام المثَّمَلُ
أبى الله للشّم الأنوف كأنهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقلُ[٣]

كانت أرض مؤتة خضراء يانعة؛ لكثرة بساتينها، وصفها علي ابن موسى المشهور بابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ فقال: (واد فيه ماء وبساتين)[٤].

ومؤتة اليوم مدينة، تضم في جنباتها جامعة مؤتة، توثق علاقة الخلف بسلفهم الأبرار.

دارت على أرضها معركة عظيمة، وذلك سنة ثمانٍ من الهجرة، وسببها أن الرسول ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي[٥] ﷺ بكتاب إلى ملك بُصرى الشام؛ الذي يتبع لقيصر ملك الروم[٦]، وقيل: إلى هرقل عظيم الروم، فلما نزل أرض حاكم مؤتة تعرّض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وقال له: أين تريد؟ لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأوثقه رباطاً، وعذّبه، ولم يثنه تعذيب الغساني عن مواصلة دعوته بجرأة وشجاعة وإقدام، فضربت عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء، مهما اشتد الخلاف، ومهما كُرهت الرسائل التي يحملونها؛ ولذلك لما سمع الرسول ﷺ اشتد ذلك عليه، وندب الناس وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث الأزدي، ويدعو من هناك إلى الإسلام؛ فإن أجابوا وإلا قاتلوهم، وقال لهم ﷺ: (أغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام)[٧]، وأمّر رسول الله ﷺ الأمراء، فعن

---

١ . بضم الميم وسكون الواو المهموزة، وقيل: بغير همز.
٢ . معجم البلدان ٢١٩/٥.
٣ . معجم البلدان ٢١٩/٥.
٤ . الجغرافيا ابن سعيد المغربي ١ / ٤١.
٥ . انظر ترجمته في الإصابة ١/ ٢٨٦، أسد الغابة ١/ ٣٤٢، زاد المعاد ٣/ ٣٨٣.
٦ . فتح الباري ٥١١/٧.
٧ . تهذيب تاريخ دمشق ٩٤/١.

ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: (إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ)[1].

وخرج رسول الله ﷺ معهم مشيعاً حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف، ووقفوا حوله، ووصاهم بالغزو في سبيل الله، ومقاتلة أعداء الله، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان[2]، وعن حرق النخل وقطع الشجر، وهدم البناء، وغير ذلك مما يعبر عن أهداف الجهاد وغاياته.

وسار الجيش حتى بلغوا معان فأقاموا بها يومين، وبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب من أرض البلقاء بمائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب.





ولما رأى المسلمون كثرتهم قالوا: نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا، فحثهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فتقدم المسلمون، والتقى الجيشان، وجلس رسول الله ﷺ ينظر إلى معركتهم، ويخبر عنهم، وعن مقتل أمرائهم، حتى أخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال ﷺ: (اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره)[3]؛ فمن يومئذٍ سمي سيف الله، ففتح الله عليه، وانحاز بالمسلمين، وجعل المقدمة ساقة – مشاة – والميمنة ميسرة، فأنكر العدو حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا، وأصاب منهم المسلمون، وغنموا بعض أمتعة المشركين حتى رجعوا سالمين؛ فعن أَنَسٍ رضي الله عنه (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)[4].

---

١ ـ البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة مؤتة من أرض الشام.
٢ ـ السيرة الحلبية ٦٦/٣.
٣ ـ فتح الباري ٥١٣/٧.
٤ ـ رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة.

لقد اختار رسول الله ﷺ من أقاربه، وأحبابه، وأنصاره، فاختارهم الله سبحانه وتعالى شهداء على أرض مؤتة؛ إنه لتكريم عظيم، أن يدفن في الأردن من خيار الناس وأرفعهم، قال حسان بن ثابت ﷺ فيهم:

فلا يُبعدنّ الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله هم خير عصبة تواصوا وأسباب المنية تنظر[1]

انحاش خالد بن الوليد ﷺ بالجيش ومرّ في طريقه على أهل قرية في حصن كانوا قد اشتركوا في قتال المسلمين، فحاصرهم، وفتح حصنهم عنوة، وقتل مُقاتلتهم في نقيع إلى جانب حصنهم، فسمي ذلك النقيع نقيع الدم إلى اليوم، كذا قال ابن عساكر[2]، وعاد خالد بن الوليد سالماً، والمسلمون معه نجاهم الله تعالى ليفوزوا بقول النبي ﷺ: (إنهم الكرار إن شاء الله)[3]، وتركوا لنا كنوزاً، من الشهداء الأبرار الأخيار، وفيهم قال كعب بن مالك:

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى وحفيظة أن ينكلوا[4]
فمضوا أمام المؤمنين كأنهم فنق[5] عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول[6]

والذي يدعو للعجب أن تتقابل فئتان الأولى مؤمنة عددها ثلاثة آلاف، والأخرى مائتا ألف؛ يقاتلون على أرضهم التي يعرفونها، والمسلمون قد قطعوا المسافات الشاسعة، ولا يستشهد من المسلمين إلا القليل، فقد بلغ عددهم ثلاثة عشر شهيداً، على قلة مؤنتهم! ويقاتلون على أرض لا يعرفون تضاريسها! ولا أوديتها! ولا جبالها! ولا تربوا في أحضانها، ويقابل المؤمن ثلاثين من الروم، ويقتلون من الكفار خلقاً كثيرين، بل يقول خالد ﷺ: (لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إلا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ)[7]؛ فماذا ترى قد قتل ﷺ بهذه الأسياف؟! ومن هنا أنكر رسول الله ﷺ على من وصف جيش مؤتة بالفرار، وقد حماهم الله سبحانه وتعالى من قتل محقق لولا الكرامة والتأييد الإلهي، ثم كان سرور رسول الله ﷺ أنه رآهم في الجنة حيث قال: كان الذي رأيتم مني أنه أحزنني قتل أصحابي، حتى رأيتهم في الجنة إخواناً على سرر متقابلين[8].

---

١ . معجم البلدان ٥/ ٢٢٠.
٢ . تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٩٩.
٣ . البداية والنهاية ٤/٢٧٩.
٤ . الحفيظة: الغضب، والنكل: الجبن، أي: وغضباً من أن يجبنوا.
٥ . الفنق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.
٦. تهذيب تاريخ دمشق ١/ ١٠٢.
٧ . البخاري: كتاب المغازي، باب غَزْوَةِ مُؤْتة مِنْ أَرْضِ الشام.
٨ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٣٠.

سادساً: ضريح الصحابي الجليل قائد مؤتة زيد بن حارثة ﷺ: قال ابن فضل الله العمري: (قبر جعفر الطيّار بقرية مُؤتَة، من أعمال كَرَك الشَّوبك، وبها أيضاً قبر زيد بن حارثة)[1]، وهو أول شهداء مؤتة؛ وهو الأمير الشهيد النبويُّ[2]، حب رسول الله ﷺ وأبو حبه – وما أحب رسول الله ﷺ إلا طيباً – زيد بن حارثة[3] أبو أسامة، المسمّى في سورة الأحزاب باسمه، ولم يُسمّ الله تعالى في القرآن صحابياً باسمه إلا هو.



ولمّا التقى الجمعان وكان الأمراء الثلاثة يقاتلون على أرجلهم، أخذ زيد اللواء فقاتل حتى شاط في رماح القوم، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة، وكرّه إليه الموت، وحبب إليه الدنيا، فقال: الآن استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إليّ الدنيا؟![4] فمضى قَرْماً[5]، ولما نعى ﷺ زيداً– أي دعا له – وقال: (استغفروا لأخيكم قد دخل الجنة وهو يسعى)[6].

إنه ابن خمس وخمسين سنة، يهجم راغباً في الجنة صابراً محتسباً، رافضاً الدنيا وقد تشوّفت إليه، وتزينت لديه، إلى أن دخلها ساعياً.

ويشتاق رسول الله ﷺ لزيد، ولقيته ابنة زيد ﷺ بعد مقتل أبيها، فأجهشت بالبكاء في وجهه، فلما رآها بكى حتى انتحب، فقيل: ما هذا يا رسول الله؟! قال: شوق الحبيب إلى الحبيب!

---

١ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٦٨.
٢ . قال الذهبي في بداية ترجمة زيد: (الأمير الشهيد النبوي). انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٠/١.
٣ . انظر ترجمة في التاريخ الكبير ٣٩٠/٣، الاستيعاب ٤٧/٤،
٤ . تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٩٨/١.
٥ . القرم – بفتح القاف وسكون الراء – السيد المعظم من الرجال، ومن الإبل الفحل. انظر لسان العرب ١٢/ ٤٧٣.
٦ . سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١.



رضي الله عنك يا ابن حارثة، لقد أحبك رسول الله قبل النبوة وبعدها، واختارك ﷺ لمّا اخترته؛ إذ ذهبت أمك تزور أهلها، فأغارت عليهم خيلٌ، فأخذوك، فاشتراك حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها، فوهبتك لرسول الله ﷺ قبل النبوة، فوجدك أبوك فخيّرك رسول الله ﷺ بينه وبين أبيك! فقلت: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، فهنيئاً لك حب رسول الله ﷺ.

سابعاً: ضريح ذي الجناحين جعفر الطيار ؓ في مؤتة: ضريح الشهيد جعفر ؓ بجوار ضريح زيد ؓ؛ قال ابن فضل الله العمري: (قبر جعفر الطيّار بقرية مُؤتَة، من أعمال كَرَك الشَّوبك)[1] .





وهو السيد الشهيد[2]، الكبير الشأن، علم المجاهدين، ابن عم النبي ﷺ، أخو علي ؓ، وهو أسنّ منه بعشر سنين[3]، هاجر إلى الحبشة، وكان له في الحبشة صولة وجولة؛ وذلك أن قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي بهدايا؛ ليعيد إليهم جعفر ومن معه، فجاءوه وكلموه، وأبا إلا أن يسمع منهم؛ فسَأَلَهُمْ وأجابه جعفر، وأبكى النجاشي، وأقاموا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ، وذلك بسبب ذكاء جعفر ؓ وإخلاصه، ورجع جعفر ؓ إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر، فالتزمه رسول الله ﷺ، وقبّل بين عينيه، وقال: (ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟!)، إنه من

١ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٦٨.
٢ . انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢/١٨٥، أسد الغابة ١/ ٣٤١.
٣ . سير أعلام النبلاء ١/٢٠٦.

شهداء آل بيت النبي ﷺ، وهو من شجرتهم، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول لجعفر: (أشبه خَلقُك خَلْقي، وأشبه خُلُقُك خُلُقي، فأنت مني ومن شجرتي)[1]، وأما جوده وكرمه فيصوره أبو هريرة ﷺ إذ يقول: (ما احْتَذَى النّعَالَ وَلاَ انْتَعَلَ، وَلاَ رَكِبَ المَطَايَا أَفضَلُ مِنْ جَعْفَر بن أبي طالب)[2].

ولما أصيب القائد الأول زيد ﷺ أخذ اللواء الأبيض فشدَّ على الناس حتى قتل، وذلك بعد أن اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[3]، وحارب ماشياً، وقال:

يَا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا	طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّوْمُ رُوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا	عَلَيَّ إِنْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

لقد تناوشته سهام القوم، وكثُر فيه الطعن؛ قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ)[4]، ولكن تلك الطعنات لم تثنه عن قتاله، طمعاً في الشهادة، وحرصاً على الراية حتى تقطعت أطرافه، فأبدله الله تعالى جناحين يطير بهما في الجنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس[5] قريبة، إذ قال: (يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مرّ، فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا، فسلّم فردي عليه السلام، وقال: إنه أصابه ثلاث وسبعون طعنة، فأخذ اللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم أخذ باليسرى فقطعت، قال: فعوضني الله من يديّ جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها)[6]، لقد حزن رسول الله ﷺ على قتله، وقال لأهله: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم[7]، وما واساه إلا عندما رآه ملكاً يطير في الجنة؛ مضرجاً بالدماء، فعليك رحمة الله يا من سمّوك أبا المساكين، لأنك كنت تذهب بهم إلى بيتك، فإذا لم تجد لهم شيئاً أخرجت لهم عكة أثرها عسل فيشقونها ويلعقونها.

ثامناً: ضريح عبد الله بن رواحة ﷺ في مؤتة: ثالث القادة هو الأمير السعيد الشهيد؛ ابن رواحة الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر[8].

---

١ . رواه الإمام أحمد ٢٠٣/٥.

٢ . رواه الترمذي كتاب المَنَاقِبِ عَنْ رَسُول الله ﷺ.

٣ . رواه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الدابة تعرقب في الحرب.

٤ . رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غَزْوَةِ مُؤْتة مِنْ أرْضِ الشام.

٥ . أسماء بنت عميس ؛ التي تزوجت جعفرَ ابنَ أبي طالب، ثم الصديقَ وتزوجت بعد وفاته عليَّ ابنَ أبي طالب ﷺ قال الشعبي: فتفاخر ابناها محمدُ بنُ جعفر، ومحمدُ ابنُ أبي بكر؛ فقال كلٌ منهما: أبي خيرٌ من أبيك فقال علي: يا أسماءُ: اقضي بينهما، فقالت: ما رأيتُ شاباً كان خيراً من جعفر، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال علي: ما تركت منها شيئاً ولو قلت غير هذا لمقتك. انظر سير أعلام النبلاء ١/٢٠٨.

٦ . رواه الحاكم في المستدرك ٣/٢١٠.

٧ . رواه الترمذي: كتاب الجنائز، باب اصْنعُوا لأهْل جَعْفرٍ طَعَاماً فإنهُ قدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلهُمْ.

٨ . ترجمته في: أسد الغابة ٣/٢٣٤.

كان إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: (تعال بنا نؤمن ساعة)، فقاله يوماً لرجل فغضب، فجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله! ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة! فقال رسول الله ﷺ: رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة)[1]، لقد كان ﷺ يحب الصيام إذا اشتد الحر، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدته، ولا عجب، فإنه يبتغي الرواء إذا اشتد الظمأ، ولعل مما زاد في خوفه من ربه أن النبي ﷺ أتاه وقد أغمي عليه فقال: (اللهم إن كان حضر أجله فيسّر عليه وإلا فاشفه، فوجد خفة، فقال يا رسول الله أمي قالت: واجبلاه، واظهراه! وملك رفع مرزبة من حديد يقول: أنت كذا، فلو قلت: نعم لقمعني بها)[2].



إنه الذي استثني من قول الله سبحانه وتعالى: {وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}[3]؛ إذ لما نزلت قال سائلاً رسول الله ﷺ: أنا منهم؟ فأنزل[4] الله سبحانه وتعالى: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}[5]، ولمّا كرهت نفسه الإقدام، فأرغمها قائلاً:

١ . رواه احمد في المسند ٢٦٥/٣.
٢ . سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١.
٣ . الشعراء ٢٢٤.
٤ . الدر المنثور ٩٩/٥.
٥ . الشعراء ٢٢٧.

أقسمت يا نفس لتنزلنَّه	طائعةً أو لا لتُكرَهِنَّه
فطالما قد كنت مُطمئنهْ	ما لي أراك تكرهين الجنَّة

إنه هو الذي قال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي جئتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدد ولا عدة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، وروي أنه أتاه ابن عم له قبل مؤتة بعرق[١] من لحم، فقال له: شدّ بهذا صلبك؛ فقد لقيت أيامك هذه ما لقيت، فأخذه فانتهس[٢] نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر، فقال لنفسه: وأنت في الدنيا؟! ثم ألقاه، وأخذ سيفه وتقدّم؛ فقاتل حتى قتل[٣].

ولا يغيبن عن البال أن هناك أحد عشر صحابياً لا تعرف لهم مقامات في مؤتة، ولكن وإن غابت الأجساد فالذكريات خالدة.

---

١ ـ العرق: العظم الذي عليه بعض اللحم.
٢ ـ أخذ منه بفمه يسيراً.
٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/١٦٠.

الحسا
وقلعتها محطة استراحة للحجاج وحصن لحمايتهم

تبعد الحسا مسافة نحو ١٥٠ كم إلى الجنوب من عمَّان، وتقع قلعتها إلى الغرب من سكة حديد الحجاز على الطريق السلطاني طريق الحج.

بدأت العناية بالحسا أيام المماليك، وكانت معرضة للسيول الجارفة؛ فهناك نص تاريخي لابن طولون[١] ذكر فيه أن نائب دمشق أقام بالحسا حتى وصول وفد الحجيج؛ فقال: (وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وفي عهد الملك الأشرف قايتباي[٢] حصل على أهل الحسا مشقة عظيمة، لم يعهد مثلها، بسب الثلج الذي نزل عليهم، فقد قُتل به خلق كثير، وذهب للناس أموال لا تعد ولا تحصى).

وذكر البديري الحلاق [٣] حادثة أخرى؛ فقال: (في سنة ألف ومائة وستة وخمسين هجرية كان سليمان باشا العظم والياً بدمشق الشام، وكان في ركب الحج الشريف، جاء خبر عن الحج الشريف بأنه غرق في الحسا قريباً من القطرانة، وذهب مقدار نصف الحاج، من خيل وجمال وبغال، ونساء ورجال وأموال وأحمال، وقد غرق لأحد التجار سبعة عشر حمل، كل حمل لا يقام بثمن، فاستغاثوا بحضرة سليمان باشا العظم والي الشام، وأمير الحاج).

ومن هنا فقد شيّدوا الكثير من القلاع والحصون والحاميات على الثغور، وفيها كان يستقبل الحجيج الذاهبين إلى مكة بالمؤن والماء، مساعدة لهم من طوارئ الطريق، وكانت قلعة الحسا محطَّة مُهمَّة على طريق الحج، وتعدّ من المحطات المهمة لاستراحتهم وتزودهم بالماء.

وفي العهد العثماني بقي لقلعة الحسا الدور البارز، وبقيت القلعة مصانة؛ وتم تزويد القلعة بالجند للحماية، وفي الطابق الثاني يوجد مسجد، وما زالت تقف القلعة شامخة.

وتتكون قلعة الحسا من طابقين كل طابق تبلغ مساحته ٦٥٠م٢، وأسوار القلعة الخارجية مبنيَّة بحجارة الكلس والبازلت، وفيها كوى لإطلاق سهام، وقد تمَّ الحفاظ

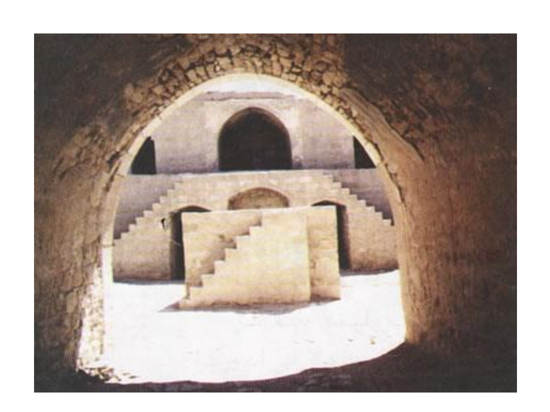
---

١ . مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون ١ / ٢٤.
٢ . عاش في الفترة بين (٨١٥ - ٩٠١ هـ = ١٤١٢ - ١٤٩٦ م)
٣ . حوادث دمشق اليومية ١ / ٦.

على نوافذ كاشفة، في ثلاثة جدران، أعلى المدخل مُزيَّن بزخرفة منقوشة، ويفضي إلى مبنى مستطيل في الوسط، يغطي بئراً بعمق ٢٠ متراً.



ومن العلماء الذين ماتوا في الحسا الشيخ كمال الدين، أحمد بن جمال الدين أبي بكر، ابن سحمان الكبري الوائلي الشريشي الفقيه الشافعي، ذكر ذلك المقريزي[١].



١ . السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١ / ٤١٥.

محافظة الطفيلة

فيها أضرحةٌ صحابة وقلاع إسلامية

تقع مدينة الطفيلة جنوب الأردن، وتبعد عن العاصمة عمان ١٨٣كم، وهي مدينة خضراء؛ مما جعلها عامل جذب للاستقرار البشري منذ القدم؛ حيث تتوفر متطلبات الحياة المعيشية، وهي عامرة بالمعالم الإسلامية، ومن أشهرها:



أولاً: مسجد وضريح الصحابي الجليل الحارث بن عمير الأزدي[١] ﷺ**:** هو من أوائل شهداء الصحابة على أرض الأردن، وهو سفير من السفراء؛ الذين وجههم ﷺ إلى الملوك والأمراء، ففي السنة الثامنة بعد الهجرة الشريفة بعثه الرسول ﷺ بكتابه إلى ملك بُصرى الشام التابع لقيصر ملك الروم وهو أحد أمرائه[٢]، وقيل: أرسله إلى هرقل عظيم الروم بالشام، فلما نزل أرض حاكم مؤتة جنوب الأردن عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وقال له: أين تريد؟ لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأوثقه رباطاً، ولم يثنه تعذيب الغساني عن مواصلة دعوته بجرأة وشجاعة وإقدام، فقُدم وضربت عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء عند الملوك والأمراء مهما اشتد الخلاف، ومهما كُرهت الرسالة التي يحملونها.

إن المتأمل في صبر الصحابي الشهيد وعزيمته ليتأكد لديه مدى عناية النبي ﷺ بأصحابه، وتربيته لهم، كما يتأكد لديه ثمرة الإيمان إذا استقر في النفس، وتمكّن من القلب.

ولما كان هذا الحادث غير محتمل، ولا يجوز التغاضي عنه، لما فيه من الخطر والإهانة، كان لا بد من تأديب المعتدي، والغضب للمُعتدى عليه، حتى لا تهون حياة السفراء، ولئلا تتكرر هذه المأساة، فلم تذهب تلك الدماء الزكية هدراً، وانتقم لها

---

١ . انظر ترجمته في الإصابة ١/ ٢٨٦، أسد الغابة ١/ ٣٤٢، زاد المعاد ٣/ ٣٨٣.

٢ . فتح الباري ٧/٥١١.

رسول الله ﷺ؛ إذ لما وصل خبره إلى رسول الله ﷺ اشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا إلى مؤتة وقال لهم رسول الله ﷺ: (أغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام)[1]، ولقد تطيب ثرى الأردن بضريحه، وأقيم بجواره مسجد مساحته (١٢٥٠م٢).



ثانياً: ضريح الصحابي الجليل كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه ومقامات ثلاثة عشر صحابياً هم باقي شهداء سرية ذات أطلاح: تقع ذات أطلاح قرب الطفيلة، وقد وصفها ياقوت[2] بأنها وراء ذات القرى، وفي الإصابة[3]: من أرض البلقاء، وفي خطط الشام[4]: بين تبوك وأذرعات، وقال الواقدي: وذات أطلاح من ناحية الشام وكانوا من قضاعة، ورأسهم رجل يقال له: سدوس، وفيها نزلت قضاعة تطلب المتسع من المعاش، قال شاعرهم[5]:

وقد نزلت منا قضاعة منزلاً   بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر

أرسل إليها الرسول ﷺ كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه[6]، وهو من كبار الصحابة، كان ﷺ يبعثه على السرايا، وفي السنة الثامنة بعد الهجرة بعثه ﷺ إلى ذات أطلاح كما قال الطبري[7]، وقال: خرج في خمسة عشر رجلاً حتى انتهى إلى ذات أطلاح.

ونقل ابن سعد[8]عن الزهري أنهم لما بلغوا ذات أطلاح من ارض الشام وجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في

---

١ . تهذيب تاريخ دمشق ٩٤/١.
٢ . معجم البلدان ياقوت الحموي١/ ٢١٨.
٣ . الاصابة٣/ ٣٠١.
٤ . خطط الشام محمد كرد علي١/ ٢٤.
٥ . خطط الشام٧٣/١.
٦ . ترجمة في: الاستيعاب ١٣٢٣/٣، أسد الغابة ٢٤٦/٤، الإصابة ٣٠١/٣.
٧ . تاريخ الأمم والملوك ١٠٣/٣.
٨ . الطبقات ١٢٧/٢.

القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهمّ بالبعث إليهم - إلى قضاعة – فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم[1].

والظاهر أن سبب هذه السرية غير معروف، قال برهان الدين الحلبي: لم أقف على السبب الذي اقتضى البعث إلى ذلك المحل[2]، ولكن المتأمل في أفراد هذه السرية الأبطال ليتأكد لديه صدق عزيمة السلف الأبرار، وقوة شكيمتهم، واختيارهم الحياة الآخرة على الدنيا الفانية؛ إذ كيف يقف النفر الذين لم يتجاوزوا العشرين أمام قبائل قضاعة! وهم ببلادهم، وعلى أرضهم، وبين أهليهم، والمسلمون مسافرون، وبلا مأوى ولا وفرة زاد، ولا كثرة عدة وعتاد! لكنهم يملكون من العقيدة وحب الاستشهاد، والتطلع إلى إحدى الحسنيين ما يفوق عدد الكفرة وعدتهم، وبهذا كانوا ينتصرون، ويتفوقون، انه الدين الذي أكرمهم الله تعالى به.



وكدأبه لم يذكر التاريخ غير العدد اكتفاء بالأفعال بدل الاشتهار، والحظ الأوفر للأرض التي تباركت بأجسادهم وتعطرت بأفعالهم، وكريم خصالهم، فعليهم وعلى شهدائنا الأبرار الرحمة والرضوان.

ثالثاً: ضريح ومسجد الصحابي الجليل فروة بن عمرو ﵁[3]: الصحابي فروة الجذامي ﵁ من قبيلة جذام؛ وهم شعوب كثيرة، وديارهم من أطراف الشام إلى أطراف المدينة، كانت لهم رئاسة في معان وما حولها، ثم آلت الرئاسة لفروة ﵁، فأصبح عاملاً للروم على قومه، وعلى من كان حوالي معان من العرب.

ولما ظهر الإسلام بمكة والمدينة، وحدثت وقعة تبوك هداه الله للإسلام؛ إذ سطع في قلبه نور الإيمان، وإشعاع الحق، فرفض الدنيا وقد تشوّفت إليه، وتزينت لديه،

---

١ . البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٤١.

٢ . السيرة الحلبية ٣/١٩٠.

٣ . ترجمته في: الاستيعاب ٣/ ١٢٥٩، الإصابة ٣/ ٢١٣، الأعلام ٥/ ١٤٣.

ولبى النداء، وآثر آخرته على الدنيا رغم كثرة المغريات، فيا له من زاهد بمنصبه، وماله، وحاشيته! لقد كتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، ولم يُنقل أنه اجتمع بالنبي ﷺ، لكنه أحبه حتى كان أقرب إلى قلبه ممن حوله من أهله وعشيرته.

ولما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه ذلك أبياتاً[1]؛ منها:

ولقد جمعتُ أجلَّ ما جمع الفتى ... من جودةٍ وشجاعة وبيان

صدق فروة رضي الله عنه، فإن من جوده وشجاعته أن يحفظ دينه، ويدافع عنه، وأن لا ينكر الحق الذي سطع في قلبه وأشرق في جوانحه، ونور الشمس لا يغطى بغربال، والحق أبلج، ولو كره الكافرون.

ورغم محبسه المظلم بعد الرفاهية ونعومة العيش التي كان يعيشها عُمال الروم ورؤساؤهم، ورغم التعذيب بعد التكريم، والرفض بعد القبول، أصرّ رضي الله عنه على دينه مما أثار قيصر الروم، فأغرى به الحارث الغساني[2]، فاجمعوا على صلبه على ماء يقال له عفرا، فقال:

بلّغ سُراةَ المسلمين بأنني ... سلمٌ لربي أعظُمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء، رحمه الله، وجعل الجنة مثواه، وما زال ضريحه في منطقة تشرف على حمامات عفرا من الجهة الشرقية ويبعد عن المحافظة ٢٧كم تقريباً، ويعد هذا الضريح أحد المعالم الدينية في محافظة الطفيلة.



رابعاً: مقام الصحابي جابر الأنصاري رضي الله عنه: يقع بالقرب من مقبرة البلدية الموجودة في منطقة البقيع، ويعتقد الأكثرية أن سبب تسمية عشيرة الجوابرة بهذا الاسم نسبة إلى هذا الصحابي الجليل؛ ويلاحظ أن الأسماء حوله تشير إلى آثار له فيها .



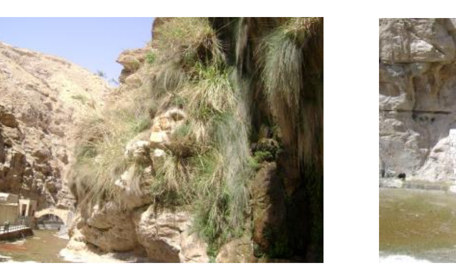
---

١ . انظر تاريخ ابن خلدون

٢ . الأعلام ٥/ ١٤٣.

خامساً: حمامات عفرا: على مقربة من مدينة الطفيلة توجد حمامات عفرا، وتتدفق مياه الحمامات من أكثر من عشرة ينابيع على امتداد وادي عفرا، وبارتفاع (٢٧٠) مترا فوق سطح البحر، وأهم ما يميزها أنها ذات حرارة مرتفعة وثابتة على مدار السنة، وهي المياه التي صُلب عليها الصحابي الجليل فروة الجذامي ﷺ.





سادساً: القلاع: في الطفيلة قلاع؛ منها قلعة مشهورة، وهي بناء مستطيل الشكل مساحته حوالي ٣٩٩م٢، تقع على تل مرتفع تشرف على أخدود وادي الأردن، بنيت القلعة على أساسات قديمة، ثم أعيد استعمالها في الفترة الرومانية، كما استخدمت كحصن عسكري للفترة المملوكية والعثمانية.





معالم محافظة معان

ضريح النبي هارون عليه السلام في وادي موسى
والبتراء من عجائب الدنيا ومعالم الشوبك وأذرح والجرباء والحميمة

مدينة مَعَان مَدِينَةٌ مُهِمَّةٌ تقع عَلَى طَّرِيقِ الحج، وَهِيَ قَاعِدَةُ إقْلِيمِ الشَّرَاةِ، كانت محطة استراحة لحجاج بيت الله؛ ومن هنا سميت بهذا الاسم؛ فإن أهل اللغة يقولون: المعان المنزل[1].



كانت معان مقراً مبكراً لعدد من القبائل العربية، مثل الغساسنة، ولخم، وجذام، وكان فروة الجذامي ﷺ عاملاً للبيزنطيين في معان وحولها، وذكرت مدينة معان في السيرة النبوية، والذي أبرزها في هذا الباب أن جيش مؤتة استراح فيها؛ قال عبد الله بن رواحة ﷺ[2]:

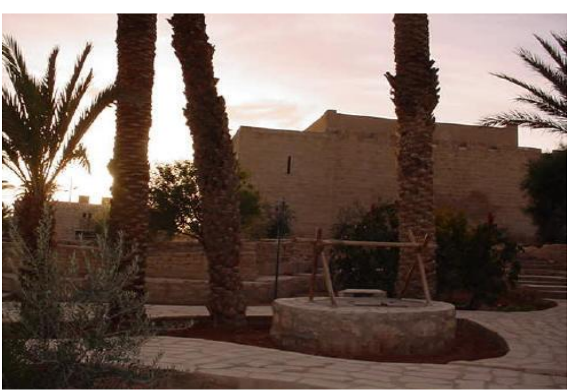
أَقَامَتْ[3] لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا[4] جُمُومُ[5]
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ[6]
فَلا وَأَبِي مَآبَ لَنَأْتِيَنّهَا ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ

وقد ورد في كتب التاريخ أنه سكنها بنو أمية ومواليهم[7]، والذي يبدو للعيان أنه كان فيها مدرسة علمية؛ وقد برز من علمائها علي بن محمد بن يزيد المعاني، والحسن بن علي بن عيسى الأزدي المعاني.

---

١ . معجم البلدان ١٢٥/٤.
٢ . البداية والنهاية ٤ / ٢٧٧، الروض الأنف ٤ / ١٢١.
٣ . أي: أقامت الخيل التي سارت إلى الروم.
٤ . الفترة : الضعف والسكون.
٥ . الجموم : اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة.
٦ . السموم : الريح الحارة.
٧ . صبح الأعشى للقلقشندي ٢/ ٨٨.

ومن معالم معان الإسلامية القلعة، وهي من آثار الدولة العثمانية الباقية حتى الآن، تم إنشاؤها عام ١٥٦٦م في زمن السلطان سليمان القانوني، ويتبع لها بركة كبيرة استغلت لتجميع المياه، وجاء بناؤها لتلبي حاجه الحجاج، ولاتخاذها مقراً للجنود العثمانيين.



ذكرها كثير من الرحالة العرب والمسلمين في أثناء مرورهم بها للحج، ومن معالم محافظة معان:

أولاً: ضريح النبي هارون عليه السلام في وادي موسى: سمي وادي موسى بهذا الاسم نسبة إلى موسى عليه السلام؛ قال ياقوت[1]: (وادي مُوسى منسوب إلى موسى ابن عمران عليه السلام؛ وهو واد حسن كثير الزيتون، وإنما سمي وادي موسى لأنه عليه السلام لما خرج من التيه ومعه بنو إسرائيل كان معه الحجر الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وكان إذا ارتحل حمله معه وخرج، فإذا نزل ألقاه على الأرض، فخرجت منه اثنتا عشرة عيناً؛ تتفرق على اثني عشر سبطاً، قد علم كل أناس مشربهم فلما وصل إلى هذا الوادي، وعلم بقرب أجله عمد إلى ذلك الحجر فسمّره في الجبل هناك، فخرجت منه اثنتا عشرة عيناً وتفرقت على اثنتي عشرة قرية؛ كل قرية لسبط من الأسباط ثم مات موسى عليه السلام، وبقي الحجر على أمره هناك، وحدثني القاضي جمال الدين أبو الحسن علي ابن يوسف أدام الله علوَه أنه رآه هناك، وأنه في قدر رأس العَنز، وأنه ليس في هذا الجبل شيء يشبهه)، والمراد بالعالم جمال الدين هو الشيباني القُفطي الذي عاش بين (٥٦٨ هـ) و(٦٤٦ هـ) وهي الفترة الموافقة ١١٧٢ م- ١٢٤٨ م، ولقد نسب إلى وادي موسى الشيخ يوسف بن إبراهيم الصُهيبي، وكان متقشفاً، وكان شافعياً، قتل بمرو سنة ٥٣٥ هـ[2].

١ . معجم البلدان ٤ / ٢٧٦.
٢ . معجم البلدان ٢ / ٤٩.

وأما هارون عليه السلام فهو شقيق موسى عليه السلام، وورد اسم هارون في قوله تعالى: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}[1]، وليس المراد به النبي هارون؛ إذ بينه وبين مريم قرون كثيرة، وفي صحيح مسلم عَنِ الْمُغِيرَةِ أنه قَالَ: (لَمّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي؛ فَقَالُوا: إِنّكُمْ تَقْرَؤُونَ: {يَا أُخْتَ هَرُونَ}، وَمُوسَىَ قَبْلَ عِيسَىَ بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمّا قَدِمْتُ عَلَىَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنّهُمْ كَانُوا يُسَمّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)[2]، فالمراد أنهم شبهوها بعابد من عُباد زمانهم، كانت مريم تساميه في العبادة، وكان اسمه هارون.

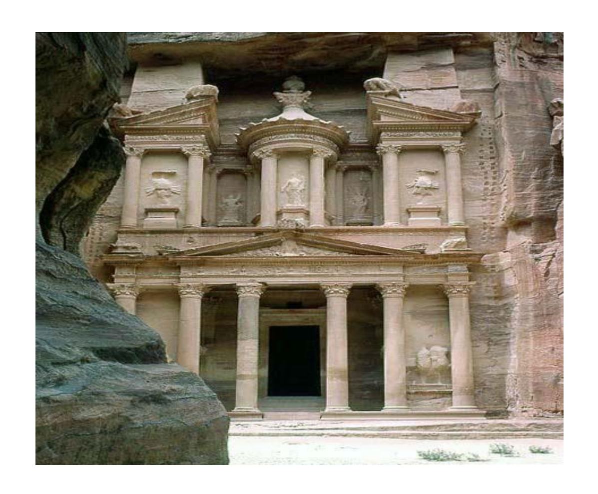
لم يكن هارون عليه السلام مستقلاً في رسالته، وإنما كان معاوناً لموسى عليه السلام ووزيراً له، وتوفي في التيه؛ أي في المكان الذي تاه فيه بنو إسرائيل لما رفضوا دخول بيت المقدس.

وفي وادي موسى على قمة جبل من جبال البتراء يوجد ضريح ومسجد النبي هارون عليه السلام، قال ابن فضل الله العمري[3]: (قبر هارون في السيق ببلاد الشَّوبَك)، ويقع في أعلى نقطة في البتراء وعلى ارتفاع (١٣٥) متراً، ومن بلغ المكان انكشف أمام ناظريه مشهد غني بالمناظر الطبيعية المتنوعة، ويرجع تاريخ بناء المقام إلى بداية القرن الثامن الهجري، فقد كتب على أعلى باب المقام (تاريخ تجديده سنة ٧٠٩ هـ)، والمقام على قمة جبل، ويتألف البناء من مسجد تعلوه قبة.



١ . سورة مريم ٢٨.
٢. صحيح مسلم بشرح النووي ١١٦/١٤.
٣ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٦٨

ثانياً: البتراء من عجائب الدنيا: كانت البتراء عاصمة الأنباط، قال المقريزي: (لم يتخذ الأنباط دمشق قصبة لهم؛ لبعدها عن محور مملكتهم، وكانت عاصمتهم سلع في وادي موسى)[١]؛ والمراد بسلع البتراء، وذكر ياقوت[٢] أن الشوبك كانت خراباً وعمرّها أحد ملوك الفرس، ولعله يريد بالخراب ما يعرف اليوم بالبتراء.



وفي التاريخ يطلقون اسم الشوبك على البتراء وهما متجاورتان.



ثالثاً: الحميمة بها قبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وسكنها علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم وفيها المسجد العباسي وهي منطلق الدولة العباسية وولد فيها أكثر الخلفاء العباسيين: الحُميمَةُ تصغير الحمة، وهي في اللغة: الأرض الصلبة حجارتها السوداءُ الملساء، وأرضها تنبت نبتاً ليس بالقليل ولا الكثير[٣]، وهي من أرض الشراة، تقع قريباً من مدينة معان، وتقبع البلدة على سفح جبل يبلغ ارتفاعه (١٢٣٧م)،

---

١ . البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ١ / ١٨.
٢ . معجم البلدان ٤ / ٢٧٦.

٣ . معجم البلدان ٢ / ١١٩.

وقد عرفت في العهود القديمة بمكانتها، لأنها من المدن التي بلغت أوج ازدهارها وتطورها في عهد الأنباط؛ إذ أصبحت من المحطات التجارية البارزة لاستقبال قوافل التجارة؛ القادمة من الجزيرة العربية والذاهبة شمالاً إلى الشام.

قام الأنباط بتزويد الحميمة بالمياه، عبر قنوات حجرية من الينابيع المجاورة؛ وبعد نهاية دولة الأنباط عام (١٠٦م) وقعت الحميمة تحت الحكم الروماني؛ حيث اتخذها الرومان حامية لهم وجعلوا منها محطة للبريد والاستراحة.





وفي الإسلام أصبحت مدينة إسلامية، أعزها الله بمساجدها وبرجالها جند الإسلام، واستمرت مدينة عامرة ومزدهرة، وزادت مكانتها عندما سكنها التابعي الجليل علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم؛ بعد أن أعطاها له الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة (٩٥هـ/٧١٣م)، فاتخذها مقراً دائماً له وداراً للضيافة، وبنى بها قصراً[١]، وتوفي بها عام (١٢٥هـ/ ٧٤٣م) وبها قبره[٢]، ولكن القبر غير معروف اليوم، والمسجد العباسي باقٍ إلى اليوم.



١ ـ معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ١ / ٤٠.
٢ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ابن شداد ١ / ١٠٩.



ظلت الحميمة في عهده هادئة ساكنة، وكان يقال لها: (العباسية)؛ نسبة إلى الدولة العباسية كونها منطلق الدولة العباسية؛ وقد وفرت الأمن للعباسيين وذلك لبعدها عن عاصمة الأمويين في دمشق، ولوقوعها على طريق الحج والتجارة؛ وكان الدعاة يجتمعون بالعباسيين؛ ويتلقون التعليمات منهم، وبقيت كذلك إلى أن عمت الدعوة العباسية خراسان والعراق وانتهت بزوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، وبعد نجاحهم غادروا الحميمة إلى العراق، وأسسوا دولتهم هناك، واستمرت فيها لأكثر من أربعة قرون.

اشتهرت الحميمة في عهد العباسيين بأنها مدينة عريقة بجمال طبيعتها، وغزارة مياهها، وعليل هوائها، وخضرة أشجارها، وقد احتضنت من أجساد آل البيت الأطهار، وفيها المواقع التاريخية والأثرية، وفيها إلى اليوم بقايا المنازل والقصور التي بناها الأنباط والرومان، والمساجد التي بناها العباسيون، وفيها حدث التحكيم المشهور بين الصحابة.





عاش في الحميمة كثير من الخلفاء والعلماء والقادة العباسيين، ومنهم من وُلد فيها، وقد نقل ابن سعد [١] قول أحدهم: سمعت الأشياخ يقولون: لقد أفضَت الخلافة إليهم، وما في الأرض أحد أكثر قارئاً للقرآن ولا أفضل عابداً وناسكاً منهم بالحميمة؛ ومن هؤلاء الأفاضل والفضليات: التابعي الجليل علي بن عبد الله بن عباس رضي الله، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وداود بن علي بن عبدالله، وسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وعبدالله بن علي بن عبد الله بن عباس، وعبد الصمد بن علي بن عبدالله بن عباس وفاطمة بنت علي بن عبدالله بن عباس، وموسى بن محمد بن علي، وإبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، والسفاح؛ عبد الله بن محمد بن علي، وأبو جعفر المنصور، عيسى بن موسى بن محمد بن علي، وزينب بنت الأمير سليمان، ومحمد بن جعفر بن عبيدالله بن العباس، وسليمان بن مجالد ابن أبي المجالد.

رابعاً: معالم الشوبك وقلعتها الحصينة ومدرستها الإسلامية: تسمى باسم الشوبك عدة قرى، منها بمصر، وهناك قرية ببلاد نابلس[٢]، وتتميز الشوبك الأردنية عن نظيراتها في الاسم بإضافتها إلى الكرك، فيقال: كرك الشوبك، وتقع جنوب المملكة، قال ابن خلكان[٣]: (الشراة - بفتح الشين والراء- صقع بالشام في طريق المدينة المنورة، بالقرب من الشوبك، وهو من إقليم البلقاء، وفي بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة، وهي القرية كانت لعلي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وأولاده في أيام بني أمية).

حرر الشوبك صلاحُ الدين الأيوبي، وأصبحت مدينة تضاهي دمشق في بساتينها وعيون مياهها، وكانت الكرك والشوبك وما حولهما بعد وفاة صلاح الدين من نصيب الملك العادل، ثم المعظم شرف، ثم الناصر داوود، فالملك المغيث، حتى استولى عليهما بيبرس عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢ [٤]، وفي أواخر القرن التاسع عشر أصبحت حامية عثمانية لتوطيد الأمن وحفظ النظام على طريق الحج الشامي.

ولقد نُسب إلى الشوبك علماء أفاضل؛ منهم القاضي ضياء الدين؛ أبو الفضائل الشيخ نور الدين علي ابن أبي الهيجاء.

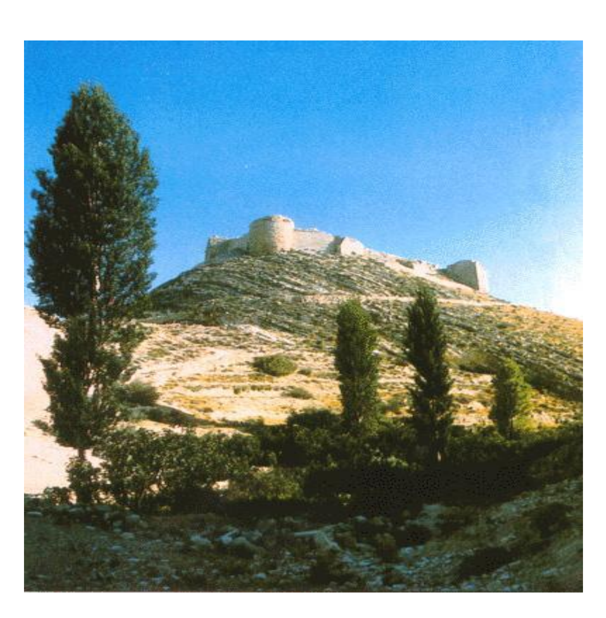
ومن معالم الشوبك القلعة؛ قال ياقوت الحموي[٥]: (قلعة حصينة في أطراف الشام، بين عمّان وأيلة والقُلزم- البحر الأحمر- قرب الكرك، وذكر يحيى بن علي التنوخي

---

١. الطبقات ٥/٣١٤.
٢ . ولد بها علاء الدين، أبو الحسن، توفي سنة ٨٥٧.
٣ . وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٨.
٤ . القاموس الإسلامي ٤/ ١٨١.
٥ . معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.

في تاريخه أن يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ م إلى بلاد ربيعة من طيئ، وهي ياق والشراة والبلقاءُ والجبال ووادي موسى، ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمّره، ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر إلِي الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن).

تقع قلعة الشوبك على ارتفاع ١٣٣٠م عن سطح البحر، تضم القلعة تسعة أبراج منها الدائري والمستطيل والمربع، تزيّنها الكتابات والزخارف من الخارج ومدخلها الرئيسي في الشرق.



خامساً: أذرح والجرباء فتحهما النبيﷺ وفيهما حدث التحكيم المشهور: أذرح والجرباء قريتان متجاورتان، ومتلازمتان في الذكر؛ تقعان شَمَالَ غَرْبِيِّ مَدِينَةِ مَعَانَ، وأما أذرُحُ فهي الهضاب الحُمر التي تنبسط على الأرض لغة؛ وأذرح هي المدينة الرئيسة في الشراة سابقاً؛ قال الإدريسي: (وشراة مدينتها تسمى أذرح) [1].

١ . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ١ / ١١٤.



وأما الجرباءُ فتطلق على أمور؛ ففي القاموس المحيط: (الجَرْباءُ: السماءُ، أو النَّاحِيةُ التي يَدورُ فيها فَلَكُ الشَّمْسِ والقَمَرِ، والأرْضُ المَقْحوطَةُ)، ولعل المراد الأرض السهلة الواسعة.

وفي كلٍ من أذرح والجرباء قال ياقوت: (اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلْقاء، وعمان مجاورة لأرض الحجاز)[١].

ذكرهما النبي ﷺ؛ ففي البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ)[٢]، وفي مسلم: (إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضاً، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ)[٣].

تمّ فتحهما في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع صلحاً، وذلك لمّا حلّ جيش المسلمين في أرض تبوك، وعلم جنود الروم بكثرة جنود الإسلام وبشهامتهم وتضحيتهم النادرة، الّتي شهدوا نموذجاً منها عن كثب في غزوة مؤتة، رأوا من الصالح أن ينسحبوا إلى داخل بلادهم، وأن لا يواجهوا المسلمين، وهناك خشي الحكام والولاة في المناطق المجاورة، فاتصلوا برسول ﷺ شخصياً؛ وهم زعماء أيلة – العقبة- وأذرح والجرباء، فكتب الرسول ﷺ كتب أمان لهم، وبذلك فتحت هذه البلاد سلماً.

---

١ . معجم البلدان١ /٨١.

٢ . البخاري: كِتاب الرِّقاقِ، باب فِي الحَوْضِ.

٣ . مسلم كتاب الفضائل.باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، قال النووي في شرح مسلم: (قال القاضي عياض: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب، فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة، ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً، لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة، لا على التقدير الموضوع للتحديد؛ بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات هذا كلام القاضي. قلت: وليس في القليل من هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة، والله أعلم)، وأنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي ٢/٤٤٨.



قال الواقدي: (نسخت بيدي كتاب أذرح وإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير – النصرة - إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون)[1]، وفي أحسن التقاسيم: (أذرح: مدينة متطرفة حجازية شامية، وعندهم بردة رسول الله ﷺ وعهده وهو مكتوب في أديم)[2].

ولأذرح والجرباء تاريخ ثرٌ فذّ؛ لأن من يقف عليه يرى فيه الحاضر الماثل، وقد كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موس الأشعري رضي الله عنهما، وذلك سنة ٣٧ هـ؛ وذلك بعد أن شَبَّتِ الحَرْبُ، وَضَجِرُوا، فَرَفَعَ الناس المَصَاحِفَ، وَقَالُوا: نَدْعُوْكُم إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَالحُكْمِ بِمَا فِيْهِ، فَاصْطَلَحُوا، وَكَتَبُوا بَيْنَهُم كِتَاباً عَلَى أَنْ يُوَافُوا أَذْرُحَ، وانتهت المعركة بقبول مبدأ التفاوض والتحكيم، واختيرت منطقة أذرح مكاناً للقاء الحكمين[3]، وسمي ذلك العام عام أذرح.

---

١ . المغازي للواقدي ١ / ٤١٥.
٢ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٦.
٣ . السيرة النبوية: ٢ / ٥٢٦

العقبة (أيلة)

فتحها النبي ﷺ وهي بلد لقمان الحكيم

ومنها رواة للحديث النبوي الشريف وشيخُهم الزهري وقلعتها مدرسة إسلامية

الْعَقَبَةِ مِينَاءُ الأردن، تقع عَلَى رَأْسِ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ، على أَحَد شُعْبَتَيْ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ، وَكَانَ الاسْمُ يُطْلَقُ عَلَى عقبَةٍ كَأَدَاءِ، ثُمَّ أُضِيفَتْ الْمَدِينَةُ إِلَى تِلْكَ الْعَقَبَةِ، فَقِيلَ: مَدِينَةُ الْعَقَبَةِ.



ذكرها ياقوت الحموي[1]، وذكر أنها مدينة على ساحل بحر القُلْزم مما يلي الشام، وبحر القُلْزم هو البحر الأحمر؛ سمي بهذا الاسم نسبة إلى بلدة على ساحله اسمها القُلْزم، وقال ياقوت[2]: (سمي بحر القلزم قلزماً لالتهامه من ركبه وهو المكان الذي غرق فيه فرعون)، وهي بلد لقمان الحكيم؛ قال ابن كثير[3]: (قال السهيلي: كان نوبياً من أهل أيلة)، وقد ذكر أنَّ موسى عليه السلام، سار ببني إسرائيل بعد موت أخيه هارون عليه السلام إلى جبال السراة بجانب الشوبك، ثم مرّ فيها إلى أيلة، وتوجه بعد أيام إلى برّية، حيث بلاد الكرك، حتى حارب تلك الأمم.

---

١. معجم البلدان ١/ ٢٩٢.
٢. معجم البلدان ٤/ ٣٨٧.
٣. البداية والنهاية ٢/ ١٢٣.

وهي بلدة قديمة؛ وصفها المقريزي[1] بأنها مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة، سُميت: بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وهي أول حدّ الحجاز، وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح، بها التجارة الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، وكانت حدّ مملكة الروم في الزمن الغابر، وفي الإسلام كانت منزلاً لبني أمية، وأكثرهم موالي عثمان بن عفان ﷺ، وكانوا سقاة الحاج، وكان بها علم كثير، ومتاجر وأسواق عامرة، وكانت كثيرة النخل والزروع، وبها مساجد عديدة، عندهم بُرد النبيّ ﷺ؛ بعثه إليهم أماناً، وكانوا يخرجونه رداء عَدَنياً[2] ملفوفاً في الثياب؛ قال ابن سعد[3]: (كساه رسول الله ﷺ برداً يمانية، وأمر بإنزاله عند بلال)، وأما البردة فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار، فكانت عند معاوية ﷺ، وفقدت عند زوال دولة بني أمية[4].

كان ذلك لما غزا رسول الله ﷺ تبوك خشي ملك أيلة أن يرسل إليه جيشاً يحاربه، فقدم على النبي ﷺ، فصالحه، واشترط عليهم قِرى[5] مَن مرّ بهم من المسلمين، وكتب لهم كتاباً؛ وقد ذكر ابن كثير[6] مصالحته عليه السلام ملك أيلة، وأنه لما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة[7]؛ فصالحه، (وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِم)[8]، ويقال لتلك البغلة الأيلية[9]، ونص الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنَةٌ من الله، ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة، وأهل أيلة؛ سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر؛ فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر)، زاد ابن إسحاق بعد هذا (وهذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله)، قال ابن إسحق: (أعطى النبي ﷺ أهل أيلة بردة مع كتابه أماناً لهم)، وفي كشف الظنون[10]: (أن النبي ﷺ أول من أملى كتب العهود والمواثيق منها عهده لنصارى أيلة بخط علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه).

ولما وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوش إلى الشام سنة اثنتي عشرة اتجه عمرو ابن العاص قبل فلسطين؛ فأخذ طريق أيلة، وبعث أبو بكر ﷺ يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة

---

١ . المواعظ والاعتبار ١ / ٢٣١.
٢ . عدنيا: مصنوعاً في عدن باليمن.
٣. الطبقات ١/ ٢٩٠.
٤. الطبقات الكبرى ١/ ٢٨٩.
٥. إطعام.
٦. البداية والنهاية ٥/ ١٦.
٧ . في القاموس المحيط للفيروزآبادي: يُحَنَّة بنُ رَذبَة ملك أيلة.
٨. متفق عليه: البخاري: كتاب الزكاة، ومسلم: كتاب الجهاد والسير.
٩ . الوافي بالوفيات للصفدي ١ / ٤٤.
١٠. كشف الظنون٢/١٠٤٦.

بن الجراح وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم، وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام[1].

وفي سنة ست وستين وخمسمائة (٥٦٦ هـ) أنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، مراكب مفصلة، وحملها على الجمال، وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة أيلة، وكان قد ملكها الفرنج، وامتنعوا بها، فنازلها في ربيع الأوّل، وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر، وشحنها بالمقاتلة والأسلحة، وقاتل قلعة أيلة في البرّ والبحر حتى فتحها، وقتل من بها من الفرنج، وأسكن بها جماعة من ثقاته، وقوّاهم بما يحتاجون إليه من سلاح وغيره، وعاد إلى القاهرة في آخر جمادى الأولى.

لقد دفن فيها عدد من العلماء؛ منهم: عبد الله بن أحمد اللخمي التونسي الفرياني، مات راجعاً من مكة إلى مصر[2]، وابن الشاهد الجمالي[3]، وعبد الحكم بن أعين بن الليث مولى رافع مولى عثمان بن عفان[4]، وابن سحلول[5] والشمس الهيثمي[6]، ومحمد أبو النجا المرشدي[7].

وسكن العقبة الزهري المحدّث، وللزهري هناك ضيعة، فكان يُكتب عنه الحديث هناك[8]، وكان طلاب العلم من أهل العقبة يرحلون إلى مصر؛ لقربها منهم، والذي يتأمل في كتب الحديث يجزم أن مدرسة أيلة في الحديث عريقة؛ كثُر تلاميذها، واتسع سورها، وأنها كانت ثغر الشام الباسم بأكمله في الحديث الشريف.

وممن ينسب إلى أيلة من رواة الحديث التابعي الجليل خالد بن عقيل الأيلي، والتابعي الجليل عقيل بن خالد الأيلي، وإبراهيم بن عقيل بن خالد الأيلي، والتابعي الجليل زياد بن عقيل الأيلي، وسلامة بن روح بن خالد بن أبى عقيل الأيلي، ومحمد ابن سلام بن عبد الله بن عقيل بن خالد الأيلي، ومحمد بن عزيز بن عبد الله بن زياد بن عقيل، ويونس بن يزيد بن أبي النجاد، وأبو علي بن يزيد الأيلي، وسعيد ابن يزيد الأيلي، وعنبسة بن خالد بن يزيد بن أبي النجاد، ويزيد بن يونس بن يزيد الأيلي.

ومن معالم العقبة :

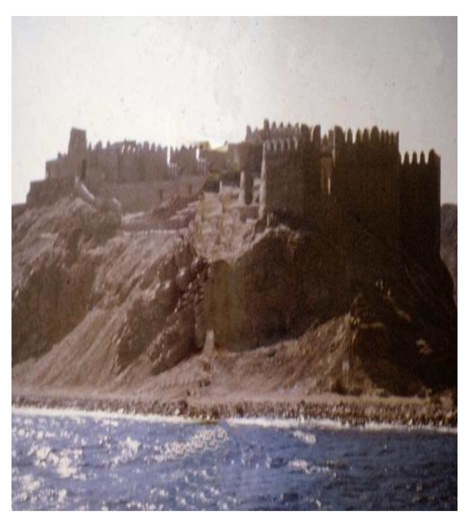
---

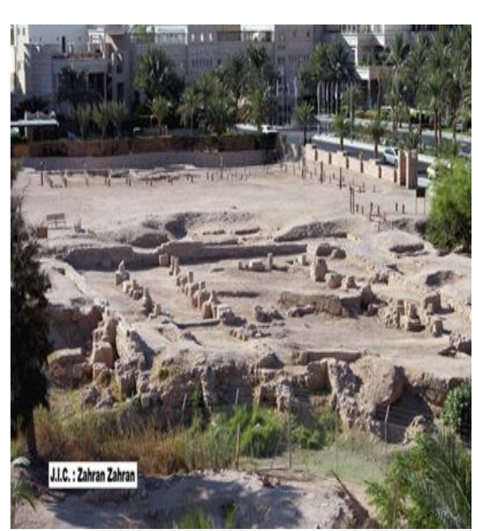
١. فتوح البلدان ١/ ١١٦.
٢ . إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١ / ٣٦٣.
٣ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٢ / ١٠.
٤ . ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١ / ١٠٦.
٥ . الضوء اللامع للسخاوي ٤ / ٩٠.
٦ . الضوء اللامع للسخاوي ٤/١٠٩.
٧ . الضوء اللامع للسخاوي ٤/٢٥٨.
٨ . سير أعلام النبلاء ٦/٣٠١.

أولاً: قلعة العقبة الإسلامية شاهد على عراقة تاريخ العقبة: تشكل العقبة سجلاً تاريخياً؛ فقد عرفها القادة والعلماء والتجار منذ آلاف السنين؛ وفي العصر الإسلامي كانت قلعة العقبة محطة للحجاج والتجار ومقصورة ملكية للملوك والأمراء المماليك؛ ينزلون فيها أثناء طريقهم إلى الحج .

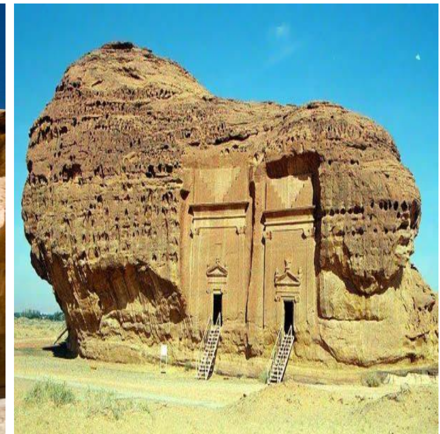








ثانياً: رم طبيعة خلابة وتاريخ عريق: وادي رم يبعد قرابة ٤٠ كيلو متراً عن مدينة العقبة.





وهو وادٍ ذو الجمال الطبيعي الذي يشبه تضاريس القمر ولذلك يسمى وادي القمر، وبين الجبال الشاهقة التي تنتصب في المنطقة يستطيع الزائر أن يلمس صفاء الطبيعة في الصحراء العربية، وفيها أعلى القمم الجبلية في جنوب بلاد الشام .





جرش
زارها رسول الله ﷺ مرتين قبل البعثة
وفتحها شرحبيل رضي الله عنه وازدهرت في العصر الأموي

تقع جرش بين اربد وعمان، وترتفع ٦٠٠ متر عن سطح البحر، وكانت مركزاً رسمياً من مراكز الإمبراطورية الرومانية، وهي إحدى المدن العشر الديكابولس[١] باسم Jerasa ؛ والتي شهدت هذه المدينة ذروتها في ذلك العهد، حيث تعكس عبقرية المكان المنزلة الرفيقة لهذه المدينة.

كتب عنها ياقوت في كتابه معجم البلدان[٢] قائلاً: (جرش، اسم مدينة عظيمة كانت وهي الآن خراب، حدثني من شاهدها وذكر لي أنها خرابة، وبها آبار عادية، وفي وسطها نهر جار يدير عدة رحى؛ عامرة إلى هذه الغاية، وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى يقال للجميع: جبل جرش؛ وجرش اسم رجل وهو جرش بن عبدالله بن عُلَيم ... ويخالط هذا الجبل جبل عوف[٣]، وإليه ينسب حمى جرش وهو من فتوح شرحبيل بن حَسَنَةَ في أيام عمر رضي الله عنه) وقال: (مدينة جُرَش من بلاد حوران، يحكي الهول من غرائب آثارها، وقد أضحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسُكَّانها، لا يُحسّ بها حسيس، ولا يوجد بها أنيس)[٤] ؛ ومن معالم جرش:

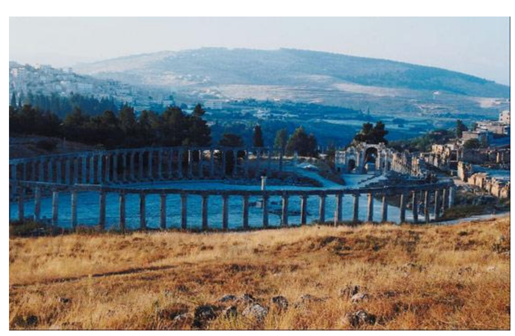
أولاً: مقام النبي هود عليه السلام: هود عليه السلام أرسله الله بعد نوح عليه السلام، وقومه عاد، تسمّوا باسم أبيهم، قال الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}[٥]، كانوا يسكنون الأحقاف، وهي جبال باليمن، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام؛ كما قال تعالى: {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}[٦]، وفي الأردن مقام منسوب لهود عليه السلام؛ وأهل التاريخ يتفقون أنهما لم يبعث في هذه المنطقة؛ ولكن قرب الأردن من بيت المقدس هو الذي يؤكد لنا مروره من الأردن؛ وقد يكون قد قضى فترة فيها، ومقامه على ظهر رابية في جرش.

---

١ . الديكابولس decepolis تحالف روماني يوناني، سبق التعريف به.
٢ . معجم البلدان ١ / ٤٨٧.
٣ . وهو الجبل الذي تعلوه قلعة الربض في عجلون.
٤ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٧٣.
٥ . سورة هود ٥٠.
٦ . سورة الفجر ٦-٨.



ثانياً: آثار مدينة جرش المشهورة: يتجلى مشهدها الرائع عن مدينة عامرة بالشوارع المرصوفة والأعمدة المذهلة، والمسارح والساحات والميادين والحمامات والأسوار الحصينة والأبواب الخارجية، وتمثل جرش الأثرية نموذجاً لتلاقي الحضارات، وتزاوج الثقافات، إضافة إلى روح الشرق والتقاليد العربية في العصور الإسلامية الأولى، وقد عثر علماء الآثار في داخل هذه الأسوار على بقايا مستوطنات تعود للعصر البرونزي، والعصر الحديدي، ولعهود اليونان والرومان والبيزنطيين، ومما يجدر التنبه إليه أن بلداً باليمن يسمى جُرش، بينما بفتح الجيم – جَرش- لا شك يراد به المدينة الأردنية.





لقد زارها الرسول ﷺ مرتين قبل البعثة أثناء المتاجرة بأموال خديجة رضي الله عنها؛ فلقد روى البيهقي في السنن الكبرى[1] عن جابر ﷺ قال: (استأجرت خديجة

---

١ . السنن الكبرى ١١٨/٦.

رضي الله عنها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بِقَلُوص [1])، وجرش هنا ليست التي باليمن؛ لأنه لم ينقل أن النبي ﷺ دخل اليمن لا قبل النبوّة ولا بعدها، قال ابن القيم[2]: (وَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ الرّبِيعِ بْنِ بَدْرٍ عَنْ أَبِي الزّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، قَالَ فِي النّهَايَةِ: جُرَشُ بِضَمّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الرّاءِ مِنْ مَخَالِيفِ الْيَمَنِ وَهُوَ بِفَتْحِهِمَا بَلَدٌ بِالشّامِ، قُلْت: إنْ صَحّ الْحَدِيثُ فَإِنّمَا هُوَ الْمَفْتُوحُ الّذِي بِالشّامِ)[3].



ولقد وصلها العرب المسلمون بقيادة شرحبيل بن حسنة ﷺ في زمن أمير المؤمنين عمر ﷺ ، وأصبحت إسلامية عام ٦٣٥ م.



١ . القلوص من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، وانظر المستدرك على الصحيحين للحاكم ١١ / ١٥٤.
٢ . زاد المعاد ١ / ١٥٤.
٣ . يرى ابن القيم ضعف هذه الرواية، وقد صححها بعض العلماء، فالله تعالى أعلم.

من معالم المفرق
شجرة في الصفاوي تحننت أغصانها على خاتم النبيين محمد ﷺ
عليه ورحاب أنجبت أحد القراء السبعة وأم الجمال من مدن الديكابولس

تقع محافظة المفرق في الشمال الشرقي من الأردن، متميزة بخصب أرضها وسهولتها، وطيب هوائها، وهي محافظة تحكي تاريخاً، ومشهورة بسعتها، وطبيعتها الخلابة، ومن معالم محافظة المفرق:

أولاً: شجرة في الصفاوي تهصّرت -مالت- أغصانها على النبي ﷺ وقد جلس في ظلها: كان الرسول محمد ﷺ قبل البعثة يمر في الأردن؛ وذلك إبان تجارته لخديجة رضي الله عنها؛ وكانت خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، فلما بلغها عن محمد ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً مع غلام لها يقال له: ميسرة، وأن تعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبل ﷺ، وخرج في مالها ذلك، فنزل ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم؛ فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي)[١]، وفي السيرة النبوية لابن كثير: (قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه)[٢].



---

١ . سيرة ابن هشام ١٨٨/١.
٢ . السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٤٣.

وقد وردت روايات[١] في هذه القصة، بأسانيد متعددة، وصححها العلماء، قال العجلوني[٢]: (قال البيهقي هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى لها شواهد).

وقد صحت هذه الحادثة؛ إذ رواها الترمذي وأبو نعيم في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن سعد في الطبقات الكبرى، وبذلك تكون روايات الجلوس تحت الشجرة متعاضدة متآزرة؛ واختلفت أقوال المؤرخين في موقع الشجرة؛ فقيل هي في:

١. الصفاوي، وفي الباقوعية تحديداً؛ وتبعد عن عمان العاصمة ٢١٥كم.

٢. بُصْرَى الشام: وهي فِي مُنتَصَف المَسَافَة بَيْنَ عَمَّان ودمَشق، وَهِيَ اليَومَ آثَارٌ قُرْبَ مَدِينَةِ درعا[٣]، قال ابن كثير: (وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، ولله الحمد والمنة؛ ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر ﵁، وقد قدمها رسول الله ﷺ مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكانت عندها قصة بحيرى الراهب، والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها)[٤].



والظاهر أن النبي ﷺ جلس تحت أكثر من شجرة في بلاد الشام؛ وذلك أنه ﷺ ما وصل إلى شجرة الشام التي ذكرها ابن كثير إلا وقد مرّ وجلس تحت غيرها من الأشجار إبان استراحاته، والله تعالى أعلم.

ثانياً: رحاب أنجبت أحد القراء السبعة وفيها مسجد أيوبي: بلدة رحاب مشرفة على ما جاورها من البلاد، فعند زيارتك منطقة آثار رحاب في محافظة المفرق تجد في حجارتها وفي جدرانها الفسيفسائية نقوشاً تروي تاريخاً مليئاً بالحكايات، ومما يشدّك إليها أن أهلها أثبتوا اسم عالم شهير، أنجبته بلدهم على جدار معماري نصبوه في

---

١ . الترمذي ٤/٤٩٦، دلائل النبوة للبيهقي ١/٤٠٧، والحاكم في المستدرك ١٢ / ٦١٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق٦/١٨٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٢٠ .

٢ . كشف الخفاء ١/١٤٠.

٣ . المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ١/ ٢٢٥.

٤ . السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٢٢.

الميدان الأهم في وسط بلدهم؛ وهو التابعي الجليل، القارئ عبدالله بن عامر اليَحصُبي أحد القراء السبعة، الذي قرأ على عثمان بن عفان ﷺ، قال ابن الجزري[1]: (ولد ابن عامر سنة إحدى وعشرين، وقال خالد بن يزيد سمعت عبيد الله ابن عامر اليحصبي يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقاء[2] في ضيعة يقال لها: رحاب وقبض رسول الله ﷺ ولي سنتان وذلك قبل فتح دمشق، وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ولي تسع سنين)، وقال الزركلي[3]: (ولد في البلقاء في قرية يقال لها رحاب)، وقال ابن حجر[4]: (اتخذه أهل الشام إماماً في قراءته واختياره)، توفي في دمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة (١١٨هـ) ، وله سبع وتسعون سنة[5].

هذا وقد تم مؤخراً العثور في رحاب على مسجد أيوبي مملوكي.



ثالثاً: أم الجمال الواحة السوداء من مدن الديكابولس سكنها الأمويون والعباسيون:

أم الجمال مدينة أثرية، تقع في الطرف الشمالي الشرقي من الأردن، بالقرب من مدينة المفرق، وتعتبر إحدى المدن العشر الديكابولس[6]، وكانت تعرف باسم (كانتا) وتختلف اختلافاً واضحاً عن مدن الحلف الأخرى.

---

١ . غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٢٥.

٢ . مصطلح البلقاء في التاريخ أوسع مما هو عليه الآن.

٣ . الأعلام ٤/ ٩٥.

٤ . تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٥.

٥ . شذرات الذهب ١/ ١٥٦.

٦ . الديكابولس decepolis تحالف روماني يوناني، سبق التعريف به.



إن أبنيتها الفخمة تعطي مثالاً فريداً متميزاً من الحضارات القديمة، وتعرف باسم الواحة السوداء؛ وذلك لما بها من أعداد كبيرة من الأحجار البركانية السوداء، وفيها تكثر بقايا المنازل التي شيدت من الحجر البازلتي.



يرجع تاريخ هذه المدينة إلى العصر البيزنطي، وازدهرت في القرن الأول قبل الميلاد، لأنها كانت ملتقى الطرق التي تربط الأردن بسورية والعراق، حيث أنها تشكل محطة في منتصف هذا الطريق الذي يصل بينها، ومن الأزرق عبر وادي السرحان إلى الجزيرة العربية.

وفي العصر الأموي الإسلامي ازدهرت أم الجمال؛ فقد سكنها الأمويون بشكل كثيف، واحتفظت المدينة بدورها التّعبدي والاجتماعي، وتؤكد الحفريات التي أجريت في مبنى الحاكم الروماني بأنه قد استخدم في الفترة الأموية، وأضيفت إليه حمامات خاصة به كما تم تبليط قاعة الاستقبال الرئيسية وبعض الغرف بالفسيفساء، ولونت جدرانه بعد إعادة تجصيصها، مما يؤكد إلى جانب غيره من الأدلة على بقاء المدينة

مزدهرة في العهد الأموي، إلى أن ضربها الزلزال المدمّر الذي شهدته المنطقة عام ٧٤٩م، وانتقلت بعد ذلك عاصمة الخلافة الإسلامية إلى بغداد عاصمة العباسية، الأمر الذي أثّر على تناقص أهمية أم الجمال الإستراتيجية كمدينة عسكرية وتجارية مهمة على طريق الحج والتجارة؛ وتناقص عدد السكان فيها لفترة طويلة.



تزخر أم الجمال بأعداد كبيرة من أحواض المياه للاستخدام الخاص والعام؛ لأنها بعيدة عن مصادر المياه، وقد وجد حديثاً بعض القنوات لجر المياه من تحت الأرض، ويرجح أن سكان أم الجمال كانوا يحصلون على المياه عن طريق سحبها من أماكن بعيدة بواسطة هذه القنوات.



محافظة اربد

بها قبر أمّ موسى بن عمران
وقبور أربعة من أولاد يعقوب عليه السلام
وموقع معركة اليرموك وقلعة دار السرايا التي بناها العثمانيون

مدينة اربد تقع شمال الأردن، وهي مدينة قديمة أقيمت في أيام الحكم اليوناني؛ وكانت تعرف باسم أربيلا، ذكرها بفتح الألف ياقوت الحموي[١]؛ فقال: (أرْبد)، وفي بعض كتب التراجم (إربل)، أقول: المشهور أنها بالدال لا باللام، وأنها بكسر الألف، لا بفتحها، وهي اليوم محافظة كبيرة مشهورة.

ترتفع مدينة إربد (٦٠٠) متر عن سطح البحر، وتعد هذه المدينة الجميلة المنظر والموقع ذات أهمية حيوية، استطاعت أن تستقطب اهتمام العديد من الكتاب والمهتمَين، نظراً لأهميتها الإستراتيجية والتجارية والاقتصادية، وتمتاز بأنها دائمة الخضرة.



سكنها بعض الأنبياء السابقين؛ وأبناؤهم؛ قال ابن فضل الله العمري[٢]: (قبر أمّ موسى بن عمران بقرية يُقال لها إرْبِل من أعمال طبريَّة، عن يمين الطريق، وبها أربعة من أولاد يعقوب)، وقال ياقوت [٣] في اربد: (قرية بالأردن، قرب طبرية، عن يمين طريق المغرب، بها قبر أم موسى بن عمران عليه السلام، وقبور أربعة من أولاد يعقوب عليه السلام)، ولا أثر فيها لمقام أم رسول الله موسى عليه السلام.

---

١ . معجم البلدان ١/ ١٣٦.
٢ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٦٩.
٣ . معجم البلدان ١/ ١٣٦.

وفي عهد الفتوحات العربية الإسلامية تمكّن شرحبيل بن حسنة ﷺ من فتح إربد وبيسان وجرش وبيت راس، ولما قسّمت الشام إلى مقاطعات كانت إربد تابعة لجند الأردن؛ الذي كانت عاصمته طبرية.

بنى الظاهر بيبرس ملك مصر والشام المتوفى سنة (٦٧٦ هـ) سلسلة من المحطات للحمام الزاجل، والأبراج لنقل الأخبار بالإشارات بين العراق ومصر بطريق فلسطين، مارةً بعجلون وإربد، وكان هذا الخط على جانب عظيم من الانتظام، والسرعة في نقل الأخبار، ويُروى أن أي حدث كان يطرأ فيما بين النهرين كانت تصل أخباره إلى السلطان في القاهرة خلال اثنتي عشرة ساعة .

مرَّ بإربد الرحالة بيركهارت السويسري عام ١٨١٢م، وذكرها بقوله: (إربد هي المكان الرئيسي في المنطقة التي تدعى البطين، وتقوم قلعة إربد على تلّ، وتقع القرية عند سفحه، والصخر الكلسي الذي يمتد عبر المعراض وعجلون وبني عبيد)، وذكر بيركهارت أن الأثر الوحيد في هذا المكان هو بركة كبيرة قديمة حسنة البناء، ولا أثر لهذه البركة اليوم؛ إلا إذا أريد بها البركة المشهورة في مدينة الحصن.

يمتاز سهلها الواسع الذي يمتد بعيداً في الاتجاهات كافة بخصوبة في إنتاج القمح، وبالخضرة الدائمة، والألوان المزدهية لأزهارها؛ ويقال للمنطقة الأقحوانة، نسبة إلى زهر الأقحوان – البابونج- الذي ينبت بكثرة في هذه المناطق، وقد تردد ذكر الأقحوانة في بعض المصادر الإسلامية على أنها المناطق المجاورة لمقام معاذ ابن جبل ﷺ؛ ويُنسب هو إليها؛ فيقال: شهيد الأقحوانة، وتُذكر معظم قرى إربد على أنها من حوران، وهو المسمى التاريخي لهذه القرى.

وازدهرت اربد في العهد العثماني؛ ففي عام ١٨٥١م شكلت الحكومة العثمانية سنجق عجلون، واتخذت اربد مركزاً لهذا السنجق، وضم نواحي الكورة والسرو والوسطية وبني عبيد والكفارات وجبل عجلون وجرش، وكانت إربد مركزاً لأرزاق الجيش العثماني؛ قال القلقشندي: (المملكة القبلية جلّ البلاد الشامية، وبها أرزاق العساكر الإسلامية، وطريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وإلى الأرض المقدسة، التي هي على الخيرات مؤسسة، وإلى الأبواب الشريفة السلطانية، وممر التجار قاصدين الديار المصرية، ومنازل العربان، ومواطن العشران)[1]، ووصف طريق البريد القديم؛ فقال[2]: (وقد كان الطريق قديماً من بيسان إلى طيبة، ثم إلى أربد، وكانت غايةً في المشقة، إذ كان المسافر ما بين بيسان وطيبة يحتاج إلى خوض الشريعة، وبها مُعدّية[3] للفارس دون الفرس، وإنما يعبر فيها الفرس سباحة، وكان في هذا من المشقة ما لا يوصف، لا سيما أيام زيادة الشريعة، ولكن الأمير الطنبغا -كافل الشام- نقل هذا الطريق وجعلها على القُصير حيث هي

١ . صبح الأعشى ٥ / ١٠٣.
٢ . صبح الأعشى ٥ / ٤٧٧.
٣ . أي طريق ضيقة.

اليوم، ونقل المركز من الطيبة إلى زحر، حين غرق بعض البريدية الجبليين بالشريعة؛ ثم من المجامع المذكورة إلى زحر، ثم منها إلى اربد)، ويُنسب إلى إربد علماء أفاضل بلفظ (الإربدي)؛ من أشهرهم حسن الإربدي وقاسم الإربدي وأحمد الإربدي، ومن معالم محافظة إربد:

أولاً: موقع معركة اليرموك: بداية السنة الثالثة عشرة جمع الصديق ﷺ الجنود ليبعثهم إلى الشام، وحثهم على الجهاد فقال: ألا لكل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخص به، هي النجاة التي دلَّ الله عليها، إذ نجّى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة[1].

وشرع الصديق ﷺ في توليه الأمراء، وعقد الألوية والرايات، فأرسل منها أبا عبيدة ﷺ إلى حمص، وسار على باب من البلقاء، فقاتله أهله، ثم صالحوه، فكان أول صلح في الشام، وأرسل الصديق ﷺ شرحبيل بن حسنة ﷺ إلى الأردن، وأمر الصديق ﷺ كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، لما لحظ في ذلك من المصالح، ووصل الأمراء إلى الشام، وتتابع الإمداد حتى تم جمعهم، فبلغ أربعة وعشرين ألفاً[2].





وسارت جيوش المسلمين إلى اليرموك ونزل جيش المسلمين جانب النهر، كي يتمكن المدد من المدينة المنورة الوصول إليهم، ولعل هذا هو السبب الأول: الذي دعانا لاعتبار أرض اليرموك المشهورة في الأردن الآن هي أرض المعركة؛ إذ بقاؤهم جانب النهر جهة الجنوب يسهل وصول الإمدادات إليهم من المدينة المنورة.

والسبب الثاني: أن سير جيوش اليرموك كان من الجنوب إلى الشمال، ولم يثبت توغل جيوش المسلمين عبر نهر اليرموك مما يعني بقاءهم في الأرض المشهورة.

١ . البداية والنهاية لابن كثير ٣/٧.
٢ . فتوح البلدان للبلاذري ١١٦.

والسبب الثالث: قول ابن الأثير في الكامل[1]: (فلما وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عبيدة ﷺ الجابية، ونزل يزيد ﷺ البلقاء، ونزل شرحبيل ﷺ الأردن وقيل: بصرى، ونزل عمرو بن العاص ﷺ العربة... ثم أمروا بالمسير فاجتمعوا باليرموك متساندين) واليرموك من أرض الأردن حسب وصف ياقوت الحموي[2].

وتكامل جيش الروم (٢٤٠) ألفاً، منهم (٨٠) ألفاً مسلسلون بالحديد والحبال، و(٨٠) ألف فارس، و(٨٠) ألف راجل، وظل القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهراً ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال، وفي تعبئة لم ير مثلها قط.

ويذكر أن هرقل لما بلغه حال المسلمين- وكان بالقدس آنذاك- قال لمن عنده: أرى أن تصالحوا المسلمين، فإنهم أهل دين جديد، وإنهم لا قِبَل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام، وضيقوا عليكم جبال الروم، فنخروا في ذلك نخرة حمر الوحش، كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأي بالحرب[3]، ثم أمر هرقل الجيوش الرومية؛ فجعل في مقابلة كل أمير من المسلمين جيشاً كثيفاً، وقال: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا، فكتب الأمراء إلى أبي بكر ﷺ يُعلمونَه بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، وإن مثلكم لا يؤتى من قلّة، ولكن من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه، وقال الصديق: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ﷺ[4]، وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام.

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق ﷺ أمراءه من الاجتماع، بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش، فنزلوا وادياً أرادوا أن يتأنس الروم بالمسلمين؛ لترجع إليهم قلوبهم، ونزل المسلمون بقيادة أبي عبيدة على طريقهم، ليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أبشروا حصرت الروم، وقلّ ما جاء محصور بخير، وأقاموا شهرين قبل وصول خالد ﷺ؛ الذي سار مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة، يجتاب البراري والقفار، ويقطع الأودية، في مفاوز معطشة حتى وصل بصرى الشام، ففتحها وكانت أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد ﷺ، ثم تبع عكرمة بمن معه حتى تكامل جيش المسلمين باليرموك قريباً من أربعين ألفاً، معهم ألف صحابي ومائة بدري، ولما وصل خالد ﷺ، وجمع الناس، ورضيه القادة قائداً لهم، قام فيهم خطيباً؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأرضوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده.

---

١ . الكامل في التاريخ ٢٧٨/٢.
٢ . معجم البلدان ٤١٧/٢.
٣ . كذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/٧.
٤ . تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٦/٤.

وخرج خالد في تعبئة لم تعرفها العرب قبل ذلك، إذ خرج في ستة وثلاثين كردوساً، في كل كردوس ألف مقاتل عليهم أمير، فقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقلَّ المسلمين، فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان، ولما تراءى الجمعان، وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدأوهم بالقتال، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم، ثم وعظ الناس معاذ بن جبل، وعمرو بن العاص وأبو سفيان وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

وخرج جرجة –أحد كبار الأمراء من الروم– من الصف واستدعى خالد، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد: أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني؛ فإن الكريم لا يخادع، بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا! قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه، ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين[١]، وما زال به حتى أسلم، ومال إلى خالد يقاتل الروم في صفه.

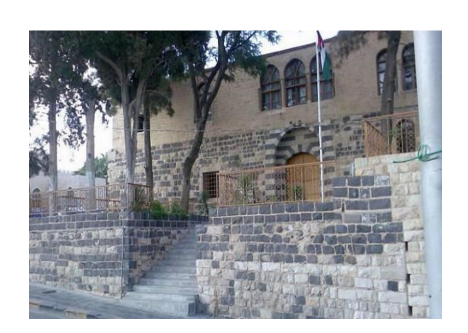
واشتد القتال بالتحام الصفوف، ونادى عكرمة ﷺ قائلاً: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، وتضعضع الروم، وانهزم فرسانهم، وتركوا الراجلة، ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها، فتفرقت، وقتل الراجلة، واقتحموا في خندقهم، وقد هوى فيه المقترنون بالسلاسل، ولا ترى إلا مخاً ساقطاً، ومعصماً طائراً، وكان خالد ﷺ قد ألجأهم إليه، فتساقطوا إليه وهم لا يبصرون، واجتمع عليهم ظلام الليل والضباب، فقتل فيه ثمانون ألفاً من المقيدين، وأربعون من غيرهم، ويسمى ذلك المكان الواقوصة[٢]، وتبعهم خالد ﷺ حتى وصل دمشق ثم إلى حمص وصالح من فيهن، ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً، ولم يستشهد منهم في هذه المعركة إلا ثلاثة آلاف، وأما الروم ففرَّ مَن لم يقتل منهم، ولما قدم منهزمتُهم قال هرقل: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر،

---

١ . البداية والنهاية ٧/١٣.
٢ . معجم البلدان ٣/ ٣٥١.

ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب، ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني.

ثانياً: قلعة السرايا التي بناها العثمانيون: لأهمية اربد وتوسطها بنى العثمانيون قلعة السرايا في منتصف القرن التاسع عشر فوق الطرف الجنوبي لتل اربد، وفي عام ١٣٠٤ هـ**1886** م أعيد بناء القلعة لتصبح مقراً للحكومة.



ثالثا: الرمثا إحدى محطات الحج ومدرستها إسلامية: تقع مدينة الرمثا في الجهة الشمالية الشرقية من إربد، وعلى بُعد ٢٢ كم عنها، ويقال: هي كلمة سريانية بمعنى مرتفعات، أو صهاريج، أو بركة لجمع ماء الشتاء، ولعلها سميت بهذا الاسم من الرمث؛ وهو أَخْضَرُ يَضْرِبُ إلى الغُبْرَةِ[١]، والمتأمل في أرض حوران عموماً يجدها كذلك.

مرّ الرحالة بيركهارت السويسري بالرمثا في ربيع عام ١٨١٢م، وقال: (الرمثا إحدى محطات الحج)، وكانت الرمثا قرية مأهولة في هذا الجانب من حوران؛ ويسكنها الفلاحون؛ لخصبها؛ حيث التربة في غاية الخصب، ووفرة المياه؛ وهي عذبة المياه، وفيها أيضاً بركة صغيرة تقع في ضواحيها؛ وهي مشهورة بخضرتها[٢].



---

١ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة رمث.

٢ ـ رحلات بيركهارت : ٢ / ١٤ ـ ١٥.

إن تاريخ الرمثا العلمي يدل على وجود مدرسة علمية فيها؛ فقد نسب إليها بعض العلماء؛ باسم: (الرمثاوي)، ومنهم الحسن بن علي الرمثاوي، وشرف الدين موسى بن شهاب الدين الرمثاوي.

رابعاً: المدرسة العلمية في ديون dion (إيدون والحصن): تقع إيدون في ظاهر اربد الجنوبي، ولا يُعرف سبب تسميتها بهذا الاسم، ويُذكر أنها تقوم على البقعة التي كانت تقوم عليها البلدة، وهي إحدى المدن القديمة الديكابولس[1]؛ وموقع الحصن وإيدون وآثارهما يوحيان بأنهما كانتا مدينتين مهمتين، وهما اليوم كمدينة واحدة ملتصقة بمحافظة اربد، وأرضها منبسطة، ومنظرها يدل على عراقة تاريخها، وخصبة أرضها، وتقدم سكانها.



تقع الحصن في الجنوب من اربد، وترتفع ٦٨٠ مترا عن سطح البحر، وفيها تلّ تاريخي؛ اكتشفت فيه أضرحة تعود بتاريخها إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وعليها نقوشات وكتابات رومانية وبيزنطية، وهي مشهورة بالتل البديع وبالبركة الرومانية، التي ما زالت حتى الآن تختزن مياه الأمطار، وكذلك تشتهر بكثرة الآبار القديمة؛ مما يدل على أنها كانت مسكونة باستمرار منذ أقدم الأزمنة حتى وقتنا الحاضر، وقد مرّ الرحالة بيركهارت بقرية الحصن في أيار من عام ١٨١٢ م ذكرها فر رحلته بقوله: (الحصن هي القرية الرئيسية في المنقطة التي تدعى بني عبيد، وهي تقوم على منحدر الجبل)[2].

والذي يظهر أنه كان في إيدون والحصن مدرسة علمية؛ لأنه يُنسب إليها بعض العلماء الأجلاء؛ من أشهرهم أحمد بن يحيى الإيدوني، وأبو بكر الحصني.

خامساً: تل الخضر عليه السلام والآثار الإسلامية في بيت راس: تقع بلدة بيت راس إلى الشمال من مدينة اربد، وتقوم على أنقاض مدينة رومانية قديمة؛ وتعتبر من المدن

---

١ . سبق التعريف بها.
٢ . رحلات بيركهارت ٣٣/٢.

الهامة نظراً لموقعها الاستراتيجي المميز على الطريق التجارية الموصلة بين مدن الديكابولس الممتدة شمالاً وجنوباً.



تشرف بيت راس على سهول حوران في الشمال والهضبة الشمالية من الأردن؛ وأرضها خصبة؛ مما ساعد في رفع مستوى الزراعة فيها منذ أقدم العصور، والبلدة محاطة بمجموعة من الأودية التي تصب في وادي العرب، والتي تساعد في مواسم الشتاء على تجميع المياه.

إن كلمة (راس) تعني المكان المرتفع، وكلمة (بيت) تعني مكان السكنى؛ لذلك فإن المعنى العام هو (السكنى في المكان المرتفع)، ويتراوح ارتفاع بعض أجزاء البلدة عن سطح البحر ٦٦٠ متراً، ولقد ورد في كتب التاريخ أن بيت راس كانت حصناً منيعاً، وأنها خصبة غنية بالحدائق، كانت غنية بعنبها وثمارها.

قال أبو عبيد البكري[١]: (بَيْتُ رَاس هو حصن بالأردن، سمي بذلك لأنه في رأس جبل)، وقال الصاغاني[٢]: (بيت رأس: اسمُ قرية بالشام من قُرى حَلَب، وكورة بالأُردُن؛ وهذه هي المُرادَة بِقَول حسان بن ثابت ﷺ قبل الإسلام[٣]:

كأَنَّ خَبيئَةً[٤] من بيتِ رأسٍ يكونُ مِزاجَها[٥] عسلٌ وماءٌ)

وذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان[٦]؛ فقال: (بَيتُ رَأس: اسم لِقَريَتَين في كل واحدة منهما كُرُوم كثيرة ينسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدس، وقيل بيت رأس كورة بالأردن، والأخرى من نواحي حلب).

---

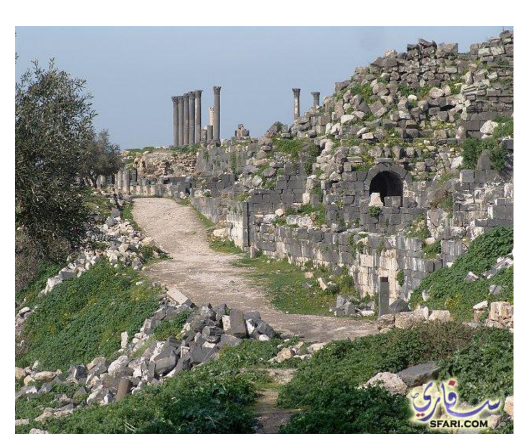
١ . معجم ما استعجم أبو عبيد البكري ١ / ٨٤.
٢ . العباب الزاخر ١ / ١١٢.
٣ . قِيلَ إنّ بَعْضَ هَذِهِ القَصِيدَةِ قالهَا فِي الجَاهِلِيّةِ وَقالَ آخِرَهَا فِي الإِسْلام .الروض الأنف ٤ / ١٨٤.
٤ . يعني الخمر المخبأ والخبئية: هي المصونة المضنون بها لنفاستها.
٥ . إنَّما نصَبَ " مِزاجَها " على أنَّه خبر كانَ، فجَعَلَ الاسم نكِرَة والخبَرَ معرِفة، وإنَّما جازَ ذلك من حيث كان اسم جِنسٍ، ولو كان الخبَرُ مَعْرِفة مَحْضَة لقَبُحَ.
٦ . معجم البلدان ١/٩٤.

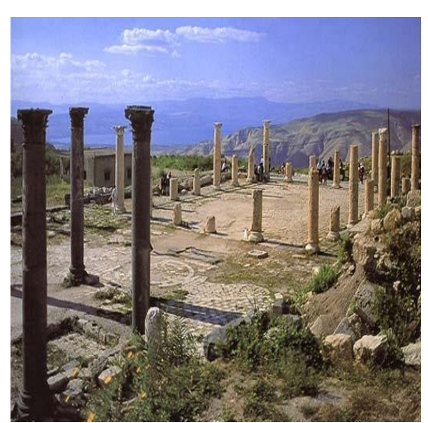
إن من المعالم الإسلامية فيها تل منسوب إلى الخضر عليه السلام؛ ومعروف أن هذا مصطلح يطلق على كل ولي عموماً، كما يطلق على الخضر نفسه، والله أعلم؛ فقد يُراد به مقام رجل صالح دفن فيه، ولم يأخذ هذا الاسم عبثاً، فهناك على قمته توجد بقايا حجارة، وآثار وعامودان صغيران، يدلان على وجود مقام قديم.

سادساً: أم قيس (جدارا) فتحها شرحبيل ﷺ وحافظ على آثارها: تقع في الشمال الغربي من اربد وعلى بعد ٢٨ كيلو متراً؛ وتقوم على طرف منطقة جبلية عالية ترتفع ٣٦٠ متراً عن سطح البحر، وهي من أجمل ما تقع عليه العين؛ إذ تطل على غور الأردن ووادي اليرموك، وللشمال من هذه القرية تقع حمامات الحمة الساخنة، جدد الرومان بناءها وأنشأوا فيها حمامات عظيمة زودوها بشبكة من القنوات .



وقرية أم قيس تقوم على البقعة التي كانت عليها بلدة (جدارا) من مدن الديكابولس، ولم تزل آثارها باقية إلى يومنا هذا، ومن هذه الآثار مسرحان صغيران وساحة كبيرة تتناثر فيها الحجارة، وقواعد الأعمدة وبعض الأضرحة المنحوتة في الصخور .





وفي عهد أمير المؤمنين عمر ﵁ فتحتها الجيوش الإسلامية بقيادة شرحبيل ابن حسنة ﵁، وحافظت جيوش المسلمين على آثارها، ومعالمها التاريخية.

سابعاً: حرثا قويلبة (أبيلا): تعتبر القويلبة (أبيلا) إحدى مدن الديكابولس، وقد ظلت مدينة مسكونة تاريخياً إلى اليوم، وتغيّر اسمها فأصبح اسمها اليوم (حرثا)، تقع شمال الأردن ضمن محافظة أربد، وتبعد ١٢ كم عنها باتجاه الشمال، وعلى الطرف الغربي لوادي القويلبة؛ الغني بمياهه الجارية ومزروعاته دائمة الخضرة، وتنتشر على الطرف الشرقي للمدينة المقابر الأثرية.




محافظة عجلون

بلد رسول الله إلياس عليه السلام
ومقام عكرمة ﷺ وفيها المسجد الكبير وقلعة العز (الربض)

تربض مدينة عجلون على سفح مرتفع يطل على غور الأردن، وتتميز بجمالها الطبيعي، وغاباتها الكبيرة، وطقسها الرائع صيفاً، ووفرة منتجاتها من الزيتون، وكافة أنواع الخضار والفواكه، التي تعتمد على مياه العيون، وتعدّ عجلون مصيفاً مميزاً، وتخلو أراضيها من الصحراء، وتكسو الأشجار جبالها التي ترتفع أكثر من ألف متر عن مستوى سطح البحر، كانت موطن الغزلان، لارتفاع تلك القمم، وشدة اكتظاظها، وكثرة غابات الصنوبر والبلوط، وتمتاز بنسماتها الرطبة الندية، وقد تغنّى بها القدماء والمعاصرون من رحالة وأدباء وشعراء، وعجلون مصطلح واسع سابقاً، يشمل الكثير من القرى، ويمتد إلى طبرية، التي تقع في الشمال الغربي منها.
عاصرت عجلون العديد من الأحداث التاريخية، فسكنها الرومان في العصور القديمة، وفتحها المسلمون في عهد الخليفة الصديق ﷺ، على يد القائد المسلم شرحبيل بن حسنة ﷺ في عام ٦٣٦م، وفي القرن الثالث عشر الميلادي غزاها التتار، وهدموا أجزاء من القلعة، ودمروا المدينة وأسواقها، واستطاع القادة المسلمون في عهد المماليك القضاء على الغزو المغولي، وعادت عجلون إلى الحكم الإسلامي، وفي العهد العثماني أصبحت عجلون نيابة وتتبع ولاية دمشق أو ولاية صفد في فلسطين، ومثّلت عجلون سفراً تاريخياً مجيداً، وصفحة من صفحات المجد الإسلامي التليد، وثغراً مدافعاً عن حمى الإسلام ودياره.

ذكر ابن كثير [1] أنه في سنة (٧٢٨هـ) حدث حادث عظيم في عجلون؛ فقال: (جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم، من أول النهار إلى وقت العصر، فهدم من جامعها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً، وغرق سبعة نفر، وهلك للناس شيء كثير؛ من الأموال والغلات والأمتعة والمواشي ما يقارب قيمته ألف ألف درهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون)، ولقد زار الرحالة ابن بطوطة عجلون، ووصفها فقال: (هي مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة، ويشقها نهر؛ ماؤه عذب)[2]، وتشتهر عجلون أيضاً بالحمامات المملوكية التي بناها المماليك، والتي تضم قاعات للتبريد وأخرى للتحمية، وحول وادي الطواحين تنتشر الطواحين المائية التي استعملت لطحن القمح وإنتاج الدقيق.

---

١ . البداية والنهاية ١٤/ ١٤٠.
٢ . القاموس الإسلامي ٥/ ٢٩٠.

ولقد ظهرت في عجلون حركة علمية وثقافية، أفرزت عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين كان لهم الفضل في نشر الفقه الإسلامي وتعزيز العقيدة؛ فقد نسب إلى عجلون[1] الشيخ العجلوني الجراحي: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني، الشهير بالجراحي؛ نسبة إلى أبي عبيدة بن الجراح، صاحب كشف الخفاء، المتوفى سنة اثنتين وستين ومائة وألف (١١٦٢هـ)[2]، وينسب إلى عين جنة -وهي مدينة شرقي عجلون- محمد بن خليل بن عبد الغني الجعفري، العجلوني ثمّ الدمشقي، الأزهري، الفقيه الشافعي، العلم المبجل، صاحب المؤلفات، المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف هـ[3]، ومن أشهر معالم عجلون:

أولاً: مار إلياس (لستب) في اشتفينا بلد إلياس عليه السلام: مار إلياس قرية جبلية جميلة، ذات خضرة دائمة، بسبب كثرة شجر البلوط، وهو شجر معروف بعدم تأثير الخريف على تساقط أوراقه، وهي بلدة أثرية قديمة، وكثيرة الأرضيات الفسيفسائية والنقوش الكتابية، والآبار القديمة، التي تعود إلى القرن السابع الميلادي، سميت مار إلياس بهذا الاسم نسبة إلى رسول الله إلياس عليه السلام؛ قال ابن عاشور[4]: (أما إلياس فهو المعروف في كتب الإسرائيليين باسم إيليا، ويسمى في بلاد العرب باسم إلياس أو مار إلياس)، ورسول الله إلياس ذكر في القرآن الكريم مرتين بهذا الاسم، في سورة الأنعام، وفي سورة الصافات ذكر باسم إلياسين، وهو من نسل رسول الله هارون عليه السلام؛ ولذلك وردت قصته بعد قصة موسى وهارون عليهما السلام في سورة الصافات الشريفة.

ولعل مار إلياس سميت باسمه عليه السلام لأنه لجأ إليها لمّا هاجر من بلده بعلبك؛ ومما يعزز هذه التسمية العثور على نص كتابي باللغة اليونانية فوق أرضية الفسيفساء، حيث يذكر النص الكتابي النبي إلياس عليه السلام بالاسم، ووجد فيها قطع عملة إسلامية، وعاش فيها علماء مسلمون؛ يذكرون في سجل العلماء الأردنيين، وقد كانت غنية بالسكان، وكان فيها مدرسة دينية، وبرز منها بعض العلماء المسلمين؛ ومن المشهورين منها العجلوني ابن خطيب عذراء[5]، وقال ابن قاضي شهبة: (في سنة (٧٥٦هـ)، بقرية من تلال عجلون؛ يقال لها: الإستب، بقرب باعون، وعذراء قرية بالمرج من دمشق، قدم وهو صغير مع والده خطيب عذراء إلى دمشق).

---

١ . نسب إلى عجلون الكثير من العلماء؛ لكن بعضهم من قرى إربد أو غيرها.
٢. سلك الدرر للمرادي ١/٢٥٩، هدية العارفين للبغدادي ٥/٢٢٠، المكتبة الأزهرية ١/٥٤٣، الأعلام لخير الدين الزركلي ١/٣٢٥، معجم المؤلفين لكحالة ٢/٢٩٢
٣ . سلك الدرر ٣٨/٤
٤ . التحرير والتنوير ١٣٤٦/١
٥ . الضوء اللامع ١/ ١٥٦.



هكذا كانت لستب، والتاريخ لم يذكر لنا الكثير من تاريخها، وما برز من تاريخها لا يغني عن المطمور تحت آثارها.

ثانيا: مقام الراكب المهاجر عكرمة ﷺ بجوار الهاشمية في عجلون: لعكرمة بن أبي جهل مكان ينسب إليه يقال له: عكرم، وهو قريب من لستب، البلد الذي عاش فيه رسول الله إلياس، بين الهاشمية والصمادية من بلدية الشفا في محافظة عجلون[١]، وهو الراكب المهاجر [٢]ﷺ، أحد أفاضل شهداء اليرموك الشريف الرئيس الشهيد، أبو عثمان القرشي، المخزومي، المكي، لقد رَكِبَ عِكْرِمَةُ فالْبَحْرَ فراراً من النبي ﷺ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا فَإِنّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئاً هَهُنَا فَقَالَ: عِكْرِمَةُ وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إلاّ الإخلاص لاَ يُنَجّينِي فِي الْبَرّ غَيْرُهُ، اللّهُمّ إنّ لَكَ عَلَيّ عَهْداً إنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمّدا ﷺ حَتّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلأَجِدَنّهُ عَفُوّا كَرِيما فَجَاءَ فَأَسْلَمَ)[٣].

إن مجيء عكرمة أفرح النبي ﷺ، وأسرّه منه أن رأى من كان في الجاهلية معانداً، كيف أقبل اليوم تائباً! ولعله ﷺ فرح لأمر آخر؛ إذ رأى النبي ﷺ في منامه عذقاً في الجنة مذللاً، فأعجبه، فقال: لمن هذا؟ فقيل له: لأبي جهل، فشق ذلك عليه، فقال: ما لأبي جهل والجنة، والله لا يدخلها أبداً، فلما رأى عكرمة أتاه مسلماً تأول ذلك العذق عكرمة ابن أبي جهل[٤].

قال: (والله لا أدع قتالاً قاتلته في صد عن سبيل الله إلا قاتلت ضعفه في سبيل الله) فلزم الجهاد، فلم يسمع منادي الجهاد إلا لبّى النداء وكبّر، ثم لزم الشام، فقتل جميعاً، ووُجد بعكرمة بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية، وهو آنذاك ابن اثنتين وستين سنة، ويقال: قتل عكرمة يوم أجنادين بفلسطين، والظاهر أنه أستشهد يوم

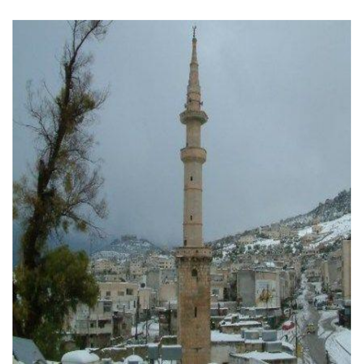
---

١ ـ الهاشمية هي القرية التي ولدت فيها عام ١٩٥٨م.
٢ ـ ترجمته في التاريخ الكبير ٧/ ٤٨، سير النبلاء ١/ ٣٢٣، أسد الغابة ٤/٤.
٣ ـ رواه النسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد.
٤ ـ العقد الثمين للحسيني ١٢٠/٦، كنز العمال للهندي 37418.

اليرموك، وهو أحد الثلاثة المشهورين؛ الذين تداولوا الماء إيثاراً لصاحبيه، فماتوا جميعاً والماء بين أيديهم ولم يشربوه، تتناوله أيديهم وتعزف أنفسهم إيثاراً.

وعن الزهري أن عكرمة ﷺ يومئذ كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كان يركب الأسنة؛ حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله، وأرفق بنفسك، فقال: كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله؟! لا والله أبداً، قالوا: فلم يزدد إلا إقداماً حتى قتل رحمه الله تعالى[١]، والظاهر أن استشهد بعد المعركة.

ثالثاً: مسجد عجلون الكبير: يُعدّ مسجد عجلون من أشهر الآثار القديمة في المدينة، وهو بناء مستطيل الشكل من الشرق إلى الغرب، يمثل أقدم المساجد في الأردن، وقد أمر الملك نجم الدين أيوب (الملك الصالح) ببنائه سنة ١٢٤٧م، كما قام السلطان الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٣م ببناء مئذنة له من الطرف الشمالي الشرقي، وما زال هذا المسجد قائماً حتى وقتنا الحاضر.





رابعاً: قلعة العز (الربض): عجلون شهيرة بقلعتها التاريخية التي تسمى قلعة الربض، لأنها تربض فوق قمة أعلى قمة فيها، وتجذب هذه القلعة أعداداً كبيرة من الزائرين؛ لما لها من قيمة دينية؛ ومن أهم معالم عجلون الإسلامية؛ تقع على قمة جبل في الجنوب الغربي منها، وترتفع ١٠٢٣ متراً عن سطح البحر، وقد بناها عز الدين أسامة بن منقذ، وهو أحد القادة البارزين، الذين خاضوا الحروب إلى جانب القائد الشهير صلاح الدين الأيوبي، وتمّ بناؤها في حدود عام ٥٨٠ هـ، وذلك ما بين عامي ١١٨٤–١١٨٥م، واتخذها صلاح الدين القلعة قاعدة له في حملته العسكرية الباهرة لطرد الغزاة الصليبين، ولتقف في وجه التوسع الإفرنجي الصليبي، وتحافظ على طرق المواصلات مع دمشق وشمال سوريا، وتشرف على المعابر الرئيسة، وأهمها وادي

---

١ . تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٢٢٢.

كفرنجة، ووادي راجب، ووادي الريان، ويعتبر موقعها استراتيجياً؛ لأنها تسيطر على طرق المواصلات بين سوريا وجنوب الأردن، وكانت له أغراض إدارية واقتصادية؛ حيث شكلت مركزاً إدارياً تابعاً لسنجق دمشق، وكانت كذلك قاعدة للإمداد والتخزين، ومحطة إنذار مبكر، ونقطة انطلاق لتحرير فلسطين من أيدي الصليبيين، وقد استغرق بناؤها عامين، وأصبحت القلعة في عهد المماليك مركزاً للبريد، بسبب موقعها المرتفع الذي جعل منها موضعاً مثالياً لإحدى المنارات، وهكذا كانت مركزاً للحمام الزاجل الذي كانت تُرسَل الأنباء بوساطته من حدود الفرات إلى القاهرة بين شروق الشمس ومغيبها.

تمثل قلعة الربض طراز الفن المعماري عند المسلمين العرب، فلها شكل هندسي مربع، ولها أربعة أبراج يتكون كل برج منها من طابقين، وقد أُضيف البرجان الواقعان إلى يمين المدخل الحالي للقلعة بعد معركة حطين، وتحوي القلعة على صخرة من يستطيع أن يفسر رموزها قد يكتشف جميع مخارج القلعة، وما زالت باقية رغم تعرضها لزلزال عام ١٨٣٧م، فهي قلعة عنيدة، تذكّر بالنصر المؤزر.



إنها على جبل عوف؛ وعوف اسم قبيلة كانوا سادة المنطقة وفرسانها، وأصحاب بأس شديد، ولا يدخلون تحت طاعة أحد، حتى دخلها عز الدين أسامة؛ وبنى القلعة لتكون ثغراً من ثغور الإسلام، شيّدت بأيد عربية مسلمة، وبأسلوب معماري وعسكري يأخذ الألباب، وضرب حولها خندق سحيق؛ يمنع الغزاة من الفرسان أو المشاة من الاقتراب أو الاقتحام، ولها مدخل واحد، وبداخلها أبراج كثيرة؛ تزخر بفتحات لاستعمال الرماة، وفيها مسالك صممت بمنتهى الإتقان، وبعض قاعاتها مزودة بخدمات متكاملة؛ لها نوافذ كانت تغلق بحجارة سهلة التحريك في أيام الحرب، وتزال منها النوافذ في أثناء السلم؛ لدخول الشمس والهواء إلى داخل القلعة، وتتميز حجارتها بأنها خشنة وضخمة.

قال القلقشندي فيها[1]: (مبنيةٌ على جبل، يُعرف بجبل عوف، المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة؛ تشرف على الغور، وهي محدثة البناء بناها عز الدين أسامة ابن منقذ؛ أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة؛ قال في مسالك الأبصار[2]: وكان مكانها دير به راهب اسمه عجلون فسميت به، قال في التعريف: وهو حصن جليل على صغره، وله حصانةٌ ومنعة منيعة، ومدينة هذه القلعة الباعونة[3] - باعون - وهي على شوط فرس من عجلون).



١ . صبح الأعشى ٢ / ٦٧.
٢ . الذي قال هو ابن فضل الله العمري، وهو مؤلف مسالك الأبصار.
٣ . بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء، والمراد باعون.

أضرحة ومساجد

الشهداء الصحابة (أبو عبيدة وضرار وشرحبيل وعامر ومعاذ رضي الله عنهم) في الأغوار الوسطى والشمالية وآثار معركة فحل

في السنة الثامنة عشرة بعد استيلاء المسلمين على القدس في خلافة أمير المؤمنين عمر ﷺ، أصاب الناس مجاعة شديدة، وجدب وقحط، وسمي ذلك العام عام الرمادة، وسبب تلك التسمية أن الريح كانت تسفي تراباً كالرماد، واشتد الجوع، واستمر الحال تسعة أشهر، وبدأ مرض الطاعون في قرية قريبة من القدس تسمى عِمواس؛ وامتد إلى العراق، وقيل[1]: هو من قولهم زمن الطاعون: عمَّ وآسى؛ أي: اتسع وأحزن، وذلك لكثرة من مات فيه[2]، وبلغ ذلك الخبر عمر ﷺ، فكتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه، وفيه قال: أما بعد؛ فقد عرضت لي إليك حاجة، أُريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تُقبل اليَّ، فعرف أبو عبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتكُ إليّ، وإني في جند من المسلمين، لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه، فحلّلني من عزيمتك، فلما قرأ عمر ﷺ الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ فقال: لا، وكأن قد، وقام أبو عبيدة في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين فيكم، ومثل هذا القول قال معاذ ﷺ، وذلك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ستهاجرون إلى الشام، فيفتح لكم، ويكون فيه داء كالدمل، أو كالوخزة، يأخذ بمراقّ الرجل، فيستشهد الله به أنفسكم، ويزكيّ بها أعمالكم)[3]، روى البخاري[4] (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ[5] لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ؛ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ،

---

١ . نقله الذهبي عن الأصمعي، انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣.

٢ . انظر تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٢٢٢، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٨٨، فتوح البلدان البلاذري ١٤٥، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١١٤.

٣ . رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٤١.

٤ . البخاري: كتاب الطب، باب مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ.

٥ . فتح السين وسكون الراء، مدينة افتتحها أبو عبيدة، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/٢١١/٣ هي أول الحجاز، ومن منازل حاج الشام، وقال مالك بن أنس: هي قرية بوادي تبوك.

فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؛ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ[1] إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّباً فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْماً سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ).

إن الصحابة الكرام كانوا يرون الطاعون شهادة؛ لقول النبي ﷺ (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)[2]، ومن ثَم ثبت الصحابة الكرام في أرض الشام يتحدون الطاعون، وتوفي من الناس في الطاعون خمسة وعشرون ألفاً[3]، وكان منهم الكثير من أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، ودفن بعضهم في الأرض المباركة، فتشرفت بهم، وما زالت تسعد بعطرهم، ويشتاق الناس إلى مثوى كل صحابي عرف بينهم، ومن هذه المعالم:

أولاً: أضرحة ومساجد الصحابة شهداء طاعون عمواس:

١. **ضريح أمين الأمة أبي عبيدة ﷺ في بلدة أبي عبيدة:** عامر بن الجراح[4]، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، مناقبه شهيرة جمّة، روى أحاديث النبي ﷺ، وغزا معه غزوات مشهودة، كان أولها غزوة بدر، وأبلى يوم أحد بلاءً حسناً، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المِغْفَر في وجنة الرسول ﷺ، من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رؤي هتم قط أحسنُ من هتم أبي عبيدة[5]، جمع القرآن في صدره، وزينت بالحُسن خُلقه، وفاق الأقران بأمانته؛ قال ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَإِنَّ أَمِينَنَا، أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)[6]، لقد أحبه ﷺ وأحبه الصحابة، قال عمر ﷺ لجلسائه: تَمنَّوْا، فتمنَّوا، فقال عمر: لكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة[7]، ولعل ذلك راجع إلى قصة وسبب؛ إذ لما قدم عمر ﷺ أرض الشام تَلَقَّاهُ الأُمَرَاءُ وَالعُظَمَاءُ، فَقَالَ: أَيْنَ أَخِي أَبُو عُبَيْدَةَ؟ قَالُوا: يَأْتِيْكَ الآنَ، قَالَ: فَجَاءَ عَلَى نَاقَةٍ مَخْطُوْمَةٍ بِحَبْلٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: انْصَرِفُوا عَنَّا، فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَرَحْلَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوِ اتَّخَذْتَ مَتَاعاً، أَوْ قَالَ: شَيْئاً، فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ هَذَا سَيُبَلِّغُنَا المَقِيْلَ، وفي رواية أَنَّ عُمَرَ ﷺ حِيْنَ قَالَ لأَبِي عُبَيْدَةَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ عِنْدِي؟

---

١ . بضم العين وسكون الدال: تثنية عدوة، وهو المكان المرتفع في الوادي، وهو شاطئه. ا فتح الباري ١٠/ ١٨٥.

٢ . متفق عليه: البخاري، كتاب الطب، ومسلم: كتاب: الإمارة.

٣ . الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩٢.

٤ . ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٤٤٤، الاستيعاب ٥/ ٢٩٣، أسد الغابة ٣/ ١٢٨، الإصابة ٥/ ٢٨٥.

٥ . الاستيعاب ٥/ ٢٩٢، السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٨، والهتم كسر الثنايا من أصولها.

٦ . متفق عليه: البخاري فضائل القرآن، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة.

٧ . البخاري في التاريخ الصغير ١/ ٥٤.

مَا تُرِيْدُ إِلاَّ أَنْ تُعَصِّرَ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ، قَالَ: فَدَخَلَ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، قَالَ: أَيْنَ مَتَاعُكَ؟ لاَ أَرَى إِلاَّ لِبْداً وَصَحْفَةً وَشَنّاً، وَأَنْتَ أَمِيْرٌ، أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جَوْنَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا كُسَيْرَاتٍ، فَبَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ سَتَعْصِرُ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، يَكْفِيْكَ مَا يُبَلِّغُكَ المَقِيْلِ، قَالَ عُمَرُ: غَيَّرَتْنَا الدُّنْيَا كُلَّنَا، غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ[1]، قال الذهبي[2]: (إِن َهَذَا هُوَ الزُّهْدُ الخَالِصُ، لاَ زُهْدُ مَنْ كَانَ فَقِيْراً مُعْدِماً)، صدق الذهبي، كيف لا وهو الذي كثيراً ما يسير بين العسكر فيقول: ألا رب مُبيض لثيابه مدنسٍ لدينه! ألا رُبَّ مكرمٍ لنفسه وهو لها مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات؟! وكان أبو عبيدة من المرشحين للخلافة؛ فقد قال له عمر ﷺ: هلم أبايعك فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنك أمين هذه الأمة)، فقال أبو عبيدة : كيف أصلي بين يدي رجل أمره ﷺ أن يؤمّنا وهو في مرضه قبل أن يُقبَض (يعني أبا بكر الصديق ﷺ)، وقد استطاع بذلك أن يبعد شبح الفتنة من بين صفوف المسلمين.

ولمّا حلّ طاعون عمّواس أنعم الله على أبي عبيدة؛ ليكون شهيد الآخرة، ولما خرجت بثرة الطاعون بيده، جعل ينظر إليها، وأقسم بالله ما يحب أن له مكانها حُمر النعم، فقيل له: إنها ليست بشيء فقال: أرجو أن يبارك الله فيها، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً، فكان كذلك، ورثاه معاذ ﷺ إمام العلماء فقال: إنكم فجعتم برجل ما أزعم، والله إن رأيت من عباد الله قط أقل حقداً، ولا أبر صدراً، ولا أبعد غائلة، ولا أشد حياءً ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه[3].



١ ـ التاريخ الكبير ٦/ ٤٤٤.
٢ ـ سير أعلام النبلاء ١/ ١٧.
٣ ـ الإصابة ٤ / ١٢.




يقع ضريح أبي عبيدة في الأغوار الوسطى على مسافة ٦٥ كم من مدينة عمان، وقد ثبتت على سور المسجد لوحة رخامية تشير إلى أن السلطان بيبرس المملوكي قام بإنشاء قبة فوق ضريح أبي عبيدة، والظاهر بيبرس عاش في الفترة بين (٦٢٥هـ إلى ٦٧٦هـ والتي توافق ١٢٢٨م إلى ١٢٧٧م، وزار مقام أبي عبيدة الرحالةُ ابن بطوطة في عام ٧٢٥هـ الموافق ١٣٢٤م وذكره في رحلته[1] بقوله: (مررت الغور وهو واد بين تلال؛ به قبر أبي عبيدة بن الجراح؛ أمين هذه الأرض ﵁؛ زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل، وبتنا هناك ليلة، كما مرّ بهذا المزار الرحالة بيركهارت في صيف عام ١٨١٢ م قال: (وصلنا إلى مزار "أبو عبيدة" حيث استرحنا ساعتين، ويحيط بضريح الشيخ بضعة بيوت للفلاحين، ولا سكن فيها حالياً باستثناء القيّم على الضريح، وزوجته، يعيشان على إحسان البدو)، وفي العصر الحديث يعتبر هذا المشروع من أهم المشاريع التي تتولاها اللجنة الملكية الأردنية بالرعاية؛ فهو اليوم عبارة عن قرية إسلامية حضارية تضم في جنباتها مسجداً جامعاً، ومركزاً ثقافياً إسلامياً وساحات وحدائق، وصمم المشروع بنمط معماري إسلامي متميز، وقد بلغت مجموع مساحات مباني المشروع حوالي (٦٥٠٠)م٢.

٢. ضريح ضرار بن الأزور ﵁ بجوار أبي عبيدة: الفارس الشاعر ضرار بن الأزور[2] ﵁؛ التحق بالنبي ﷺ وترك وراءه ألف بعير برعاتها، فأخبر النبي ﷺ بما ترك؛ وقال: يا رسول الله قد قلت شعراً، فأنشده، وفي آخره:

فيا رب لا أُغبنن صفقتي فقد بعت أهلي ومالي بدار

فقال ﷺ: (ما غبنت صفقتك يا ضرار)، واختلف المؤرخون[3] في وفاته، والراجح ما ذكره الطبري أنه (مكث مجروحاً وبايع على الموت يوم اليرموك) [4].

---

١ . ص ٦١.
٢ . ترجمته في: الاستيعاب ٢/ ٧٤٦، أسد الغابة ٣/ ٣٩، الإصابة ٢/ ٢٠٨.
٣ . انظر الاستيعاب ٢/ ٧٤٨.
٤ . تاريخ الطبري ٤/ ٣٦.

يقع المسجد في بلدة ضرار من الأغوار الوسطى، وقد بني بطراز إسلامي ومعماري متميز؛ يحيط به رواق صغير يقع على إحدى زواياه، كما تم إنشاء برج بارتفاع مناسب حيث يتمكن الزائر من الصعود إليه من خلال درج خارجي ليستطيع رؤية مشروع المسجد، وبلغت مجموع مساحاته (٤٨٥م٢).





٣. ضريح فاتح الأردن شرحبيل بن حسنة ﷺ في وادي اليابس: الصحابي الجليل شرحبيل[١]، فاتح الأردن المشهور بابن حَسَنَة[٢] نسبةً إلى أمه الصحابية الكريمة، إذ توفي أبوه وهو صغير فعاش في حجر أمه فنسب إليها، ويقال: تبنته أمه وليس بابن لها فنسب إليها[٣]، كان من الفرسان الذين سادوا الناس، وهو معدود في وجوه قريش، أسلم قديماً وهاجر بدينه إلى الحبشة، ومنها إلى المدينة المنورة، وكان أحد كُتاب الوحي، وهو موضع ثقته؛ إذ أرسله إلى مصر مبعوثاً إلى عظيم القبط، فقام بالمهمة على أكمل وجه، غير أنه لم يرجع إلى المدينة المنورة إلا وقد لبست حلة الحداد لفقد قائدها ﷺ.

ولما تولى أبو بكر ﷺ القيادة برزت شخصية شرحبيل الجهادية، فقام بدور بارز في حروب الردة، ثم قاد أحد الجيوش الأربعة التي أنفذها أبو بكر لفتح الشام[٤]، وشارك شرحبيل في معركة اليرموك، وكان له أثر طيب مرموق في انتصار المسلمين على الروم، وكما أسهم في الدولة الصديقية، وأبلى بلاءً حسناً في الدولة العمرية[٥]؛ ، وشهد على صلح الشام، وسار برفقة أمير المؤمنين عمر ﷺ لفتح بيت المقدس، ولقد شهد التاريخ لشرحبيل ظفراً، وفتحاً، وشجاعة، وإقداماً.

---

١ ـ ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢٤٧، الثقات ٣/ ١٨٦، الإصابة ٤/ ١٤٣.
٢ ـ ترجمتها في أسد الغابة ٥/ ٤٢٥، الإصابة ٤/ ٢٧٢، ينسب إليها جماعة منهم جعفر بن ربيعة الحسني، بفتح الحاء والسين انظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١/ ٣٦٦.
٣ ـ الاستيعاب ٢/ ٦٩٨.
٤ ـ المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩١، فتوح البلدان للبلاذري ١١٦.
٥ ـ البداية والنهاية ٧/ ٩٣.

ولما وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ، خَطَب عَمْرُو بن الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْسٌ، فَفِرُّوا مِنْهُ فِي الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بن حَسَنَةَ، فغضب، وجاءَ يَجرُّ ثوبَه، ونعلاهُ في يدهِ، فقال: (صحبت رسول الله، فَقَالَ: لَكِنَّهُ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُم)[١]، ولم تنقض هذه السنة حتى أستشهد وهو ابن سبع وستين سنة.

يقع ضريح شرحبيل ﷺ على بعد ٧٥ كم من مدينة عمان في منطقة الأغوار الشمالية، بعد ٣٣ كم من مقام أبي عبيدة ﷺ، في وادي اليابس، في قرية سميت باسمه.





٤. **مسجد وضريح عامر ابن أبي وقاص ﷺ في بلدة وقاص:** الصحابي الجليل عامر ابن أبي وقاص[٢]؛ وهو أخو سعد ابن أبي وقاص، نزل فيه قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}[٣]؛ إذ أسلم فحلفت أمه، أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَداً حَتَّىَ يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ، ومَكَثَتْ ثَلاَثاً حَتَّىَ غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فقال لها سعد: يا أمه عليَّ فاحلفي أن لا تستظلي ولا تأكلي ولا تشربي حتى تري مقعدك من النار، فقالت: إنما أحلف على ابني البر، فنزلت[٤]، وفي مسلم[٥] أنها نزلت في سعد، والله تعالى أعلم.

قال البلاذري كتب عمر بن الخطاب إلى عامر ابن أبي وقاص بولايته الشام، وأمره مع الأمراء[٦]، مات بالشام شهيداً ﷺ، ويقع المسجد في بلدة وقاص من الأغوار الشمالية؛ وقد سميت البلدة باسمه، وبلغت مجموع مساحاته (٥٦٠م٢).

---

١ . سير أعلام النبلاء ١/ ٤٥٨.
٢ . ترجمته في الاستيعاب ٣/ ٧٩٩، أسد الغابة ٣/ ٩٧، العقد الثمين ٥/ ٨٦، الإصابة ٢/ ٢٥٧.
٣ . سورة لقمان ١٤-١٥.
٤ . الإصابة ٢/ ٢٥٧.
٥ . صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب فضل سعد ابن أبي وقاص.
٦ . فتوح البلدان للبلاذري ١٢٢.



٥. ضريحا الصحابيين الجليلين معاذ بن جبل وابنه عبد الرحمن رضي الله عنهما في الأقحوانة في الشونة الشمالية: معاذ بن جبل[١]، الأنصاري، صاحب الوجه الجميل، والثغر الحسن، الطويل الأبيض، الحنيف القانت، الساكت، فإذا تكلم خرج منه نور ولؤلؤ، وإذا رآه الرآئي وقعت محبته في قلبه، فعن أبي سلمة الخولاني قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحلُ العينين، براقُ الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم أقبلوا عليه فسألوه، فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ بن جبل، فوقعت محبته في قلبي[٢]، إنه أحد جامعي القرآن الكريم، الذين حفظوه في الصدور والسطور، قال فيه رسول الله ﷺ: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)[٣]، شهد بيعة العقبة، وشهد بدراً وله عشرون سنة، فكان من أهل بدر الذين غُفر لهم في سن مبكرة، وبلغ من العلم مبلغاً عظيماً في سن مبكرة أيضاً، إذ وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعلم الناس بالحلال والحرام، فعن أنس ﷺ مرفوعاً: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بنُ عَفّانَ، وأَعْلَمُهُم بِالْحَلاَلِ والْحَرامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ)[٤]، وأخبر رسول الله ﷺ أنه يتقدم العلماء يوم القيامة، قال عمر ﷺ: لو أدركت معاذاً، ثم وليته ثم لقيت ربي، فقال: من استخلفت على أمة محمد؟ لقلت: سمعت نبيك وعبَدك يقول: (يأتي معاذ بن جبل بين يدي العلماء برتوة)[٥]، والرتوة رمية سهم، وقيل: مد البصر.

بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، (فقال: كيفَ تَقضي؟ فقال: أقضِي بما في كتابِ اللهِ، قال: فإن لمْ يكنُ في كتابِ اللهِ؟ قال: فبسنَّةِ رسولِ اللهِ، قال: فإنْ لم يكنْ في سنَّةِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: أجتهدُ رأيي، قالَ: الحمدُ للهِ الَّذي وفَّقَ رسولَ رسولِ اللهِ)[٦]، لقد حفظك الله من بين يديك ومن خلفك، ودرأ عنك شرَّ الإنس والجن، ووصل اليمن

---

١. ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٥٩، الاستيعاب ١٠/ ١٠٤، أسد الغابة ٥/ ١٩٤.
٢ . أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٦٩، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٣٠.
٣ . البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.
٤ . الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب آل البيت.
٥ . أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٩، وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٣١١.
٦ . رواه أبو داوود: كتاب: الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء.

فقال لأهلها: إني رسول الله ﷺ إليكم، اتقوا الله واعملوا، فإنما هي الجنة والنار؛ خلود فلا موت، وإقامة فلا ظعن، كل امرئ عمل به عامل فعليه ولا له، إلا ما ابتُغي به وجهُ الله، وكل صاحب استصحبه أحد خاذله وخائنه إلا العمل الصالح، انظروا لأنفسكم واصبروا لـها بكل شيء[1].

ورجع معاذ ﷺ من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ وكان يعلم أنه لن يعود إلا بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، إذ قال له يوم ودعه: (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي وقبري، فبكى معاذ، فقال رسول الله ﷺ: لا تبك يا معاذ إن البكاء من الشيطان)[2]، إنه حبيب النبي ﷺ (أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: يا مَعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبّكَ، فَقَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنّ في دُبُرِ كُلّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللّهُمّ أَعِنّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)[3]، ولما أراد الله سبحانه له شهادة فتح له باباً من جهة الشام، فسار إليها ودخل الأردن، وكان عمر ﷺ يقول حين خرج معاذ إلى الشام: لقد أخلَّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليَّ وقال: رجلٌ أراد وجهاً – يعني الشهادة – فلا أحبسه، ومن ثم كان معاذ ﷺ كالجبل ثباتاً وقوة لمّا حلّ طاعون عمواس؛ إذ لمّا اشتد الوجع صرخ الناس إلى معاذ قائلين: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرِّجز، قال: إنه ليس برجز ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يخص الله من يشاء منكم؛ إنه يعني ما سمعه من رسول الله ﷺ؛ إذ قال: (ستهاجرون إلى الشام، فيفتح لكم، ويكون فيه داء كالدمل أو كالوخزة، يأخذ بمراقِّ الرجل، فيشهد أو فيستشهد الله بها أنفسكم، ويزكيِّ بها أعمالكم)[4]، وكان يقول: اللهم إن كنت تعلم أن معاذاً سمعه من رسول الله ﷺ، فاعطه هو وأهل بيته الحظَّ الأوفر منه، فماتت ابنتاه، فدفنهما في قبر واحد وطعن ابنه عبد لرحمن، فمات، فدفنه صابراً محتسباً عند الله سبحانه وتعالى، وطعن معاذ في كفه، فجعل يقبّلها ويقول: هي أحب إليَّ من حمرُ النعم، فإذا سُرِّي عنه قال: رب! غمَّ غمَّك، فانك تعلم أني أحبُّك! وفي رواية: اخنق خنقك فوعزتك إني لأحبك، قبض معاذ ﷺ وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة، وذلك سنة ثماني عشرة رحمه الله.

وأما ابن معاذ فهو عبد الرحمن ﷺ[5] ، وهو شاب، يذكر دائماً مقروناً بأبيه، وهو مشتهر بالفضل كأبيه، قال ابن الأثير[6]: (لا شك أن له صحبة مع النبي ﷺ)، ووافقته كتب التراجم المختصة بسير الصحابة الأجلاء، فذكروه في عدادهم، وأثبتوه مع السابقين، قاتل مع والده يوم اليرموك[7]، ولا شك أنه أبلى بلاءً حسناً في تلك المعركة،

---

١ . سير أعلام النبلاء ١/ ٤٥٠.
٢ . مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٥.
٣ . رواه أبو داوود: كتاب الطهارة، باب في الاستغفار.
٤ . أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٤١.
٥ . الاستيعاب لابن عبد البر ٣/٨٥٢، أسد الغابة ٣/٣٢٣، الإصابة ٣/٧٣.
٦ . أسد الغابة ٢/٣٢٣.
٧ . الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٤٠٣.

فهو قوي بشبابه، وهو صابر مصابر، يدل على ذلك كلامه يوم أصابه طاعون عمواس، وذلك أن والده ﷺ سأله عن حاله قائلاً: كيف تجدك؟ قال: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ}[١]، لقد نطق بالقرآن، ليتوافق الجنان واللسان، فقال معاذ ﷺ ناطقاً بالقرآن أيضاً: {سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[٢].

إن المتأمل في هذا الموقف ليفتخر، ويعتز بهذا الدين العظيم الذي أضاء الوجود لما سطعت أنواره من على أكتاف الرجال العظماء؛ الذين لم تثنهم مغريات الدنيا وشهواتها عن مواصلة الجهاد، حتى تحقق النصر واستبشرت الأمم بالظفر، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، والمؤمنون على حالهم، وما بدلوا تبديلاً.

يقع مسجد الصحابيين الجليلين معاذ وابنه عبد الرحمن رضي الله عنهما في الشونة الشمالية، ويبعد المسجد عن العاصمة عمان حوالي ٩٥ كم، ويُقال للمنطقة الأقحوانة؛ قال البلاذري: (معاذ بن جبل أحد بني سلمة، من الخزرج، ويكنى أبا عبد الرحمن توفى بناحية الأقحوانة من الأردن وله ثمان وثلاثون سنة)[٣]، وقال ياقوت: (الأقحوانة موضع بالأردن)[٤]؛ وسميت بالأقحوانة لكثرة نبات الأُقْحُوان، وهو من نبات الرَّبيع، مُفَرَّضُ الورق، دقيقُ العِيدان، له نَور أَبيض، وعند العرب وهو البابُونج[٥].

خيّم في الأقحوانة صلاح الدين الأيوبي وهو في طريقه إلى فتح بيت المقدس[٦]، وزار الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ قبر معاذ بن جبل ﷺ؛ قال: (سافرت منها إلى مدينة عجلون، وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة، ويشقها نهر ماؤه عذب، ثم سافرت منها بقصد اللاذقية، فمررت بالغور، وهو وادٍ بين تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح؛ أمين هذه الأرض ﷺ، زرناه، وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل، وبتنا هنالك ليلة، ثم وصلنا إلى القصير، وبه قبر معاذ بن جبل ﷺ، تبركت أيضاً بزيارته)[٧]، والقصير اسم للمنطقة؛ قال ياقوت: (قُصير مُعين الدين بالغور من أعمال الأردن يكثر فيه قصب السكر)[٨]، وقال ابن فضل الله العمري: (قبر معاذ بن جبل بالقُصَير المعينيّ)[٩].

بنى مقام معاذ ﷺ الشيخ المهندس محمد بن علي بن عبد الرحمن الطَّيْبي، وأصله من الطيبة في محافظة إربد، وهو حفيد الشيخ عبد الرحمن الطَّيبي المتوفى عام (١٢٦٤هـ)، وأما الشيخ المهندس فقد ولد عام (١٢٤٦) هـ وهو فقيه، متكلّم، فرضي، حاسب، مهندس، فلكي، وقد جدد علاقاته مع مواطنيه في الطيبة وناحيتها، وأشرف

---

١ . آل عمران ٦٠.
٢ . الصافات ١٠٢.
٣ . فتوح البلدان ١ / ١٦٥.
٤ . معجم البلدان ١ / ١٥٩.
٥ . لسان العرب ١٥ / ١٧١.
٦ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥ / ١٥٣.
٧ . رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٦.
٨ . معجم البلدان ٣ / ٤١١.
٩ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١ / ٦٨.

على عمارة جامع معاذ ﷺ؛ ذلك البناء الذي ظلّ مفخرة في بنائه ما يزيد عن مائتين وخمسين سنة، وأشرف على أوقاف المقام، وقد كانت بيد آل الطيبي من عهد جدهم الأول الشيخ علي؛ المدفون في الطيبة[1]، وتوفي المهندس بحوران سنة (١٣١٧هـ)، فعليه وعلى آبائه الصالحين رحمة الله.





وفي العصر الحديث أعيد البناء، مع مراعاة المحافظة على البناء القديم، وترميمه؛ كونه يحمل طابعاً تراثياً ومعمارياً مميزاً، وتم تطوير الموقع بإضافة مبنى لمسجد مربع جديد وبنمط معماري إسلامي بمساحة مقدارها (٥٥٠م٢).

ثانياً: معركة فحل في الأغوار الشمالية: فِحْل[2] من الغور الشمالي، تنخفض عن مستوى سطح البحر ٥٠ متراً، وقد أكسبها موقعها الجغرافي أهمية خاصة، وهي واحدة من مدن الديكابولس؛ كان اسمها بيلا، وهي غنية بآثارها، وما تزال أعمال البحث تؤكّد أنها كانت عامرة ومأهولة منذ آلاف السنين، وأما آثار المسلمين ففيها أحياء سكنية تعود للعهود الإسلامية المبكرة؛ حيث يوجد مسجد صغير فيها، وهي موقع معركة الفحل الشهيرة؛ كان قائدها شرحبيل ﷺ، وكان المسلمون قد أصابوا مكاناً أفضل مما فيه المشركون، مادتهم متواصلة، وخصبهم رغد، ففي تاريخ دمشق وَصفَ موقع المسلمين في معركة فحل؛ فقال: (أصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل ما ترك فيه المشركون؛ مادتهم متواصلة، وخصبهم رغد)[3].

وأما الروم فكان عليهم سقلار بن مخراق؛ فأتى المسلمين على غرة، والمسلمون حذرون، لا يأمنون مجيئهم، وهم على حذر، إذ كان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، فلما هجموا على المسلمين اقتتلوا كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم إلى الليل، فأظلم الليل عليهم وقد حاروا، فانهزموا، وهم حيارى، وقد أصيب رئيسهم سقلار، وأُصيب الذي يليه منهم نسطورس، وظفر المسلمون أحسنَ ظفر وأهنأه، وأسلمت المشركين هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل، وكان المسلمون كارهين للقتال بسبب الوحل، ولكنه أعانهم على عدوهم، وكانت تسمى ذات الردغة - الوحل - ولحق

١ . تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري للشطي ٧٧-٨٠
٢ . بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام ، انظر معجم البلدان ٤/ ٢٣٧.
٣ . مختصر تاريخ دمشق ١ / ٧٠.

أوائل المسلمين بهم، وقد وحلوا فركبوهم، وما يمنعون يد لامس، فوخزوهم بالرماح فأُصيب الثمانون ألفاً، ولم يفلت منهم إلا الشرَّيد، ثم سار شرحبيل ﷺ إلى بيسان؛ فحاصرها أياماً، ثم خرجوا عليهم فقاتلوهم، وصالحوا بقية أهلها، وبلغ أهل طبرية الخبر فصالحوهم، وتفرقت جيوش المسلمين في مدائن الأردن وقراها؛ من بيت رأس وجرش وغيرهما، وغنموا مالاً جزيلاً، وكُتب إلى عمر ﷺ بالفتح والنصر المبين[١].

ولقد تغنى الشعراء بيوم فحل، قال القعقاع بن عمرو التميمي[٢]:

كم من أبٍ لي قد وَرثتُ فعالَهُ   جمِّ المكارمِ بحرُه تيارُ
وغداةَ فِحل قد رأَوْني معلمًا   والخيلُ تَنحِطُ والبلاَ أطوارُ
ما زالت الخيلُ العرابُ تدوسُهم   في حَوم فِحل والهَبَا موَارُ
حتى رَمَين سراتَهم عن أسرهم   في روعةٍ ما بعدها استمرارُ

إنها إذن معركة عظيمة، ونصر مؤزر أكرم الله عز وجل به شرحبيل بن حسنة ﷺ ومن معه من الصحابة والتابعين.

وما زالت بعض الآثار الإسلامية ضمن الآثار القديمة، مما يدل على محافظة المسلمين على آثار السابقين، وبناء حضارتهم على حضارات السابقين؛ دون هدم أو اعتداء.



ولم يذكر التاريخ من شهداء فحل من الصحابة إلا العدد القليل، ومنهم الشقيقان السهميان السائب بن الحارث[٣] ﷺ والحارث بن الحارث[٤] ﷺ؛ وذكر ابن سعد في الطبقات[٥] أن أمهم هي أم الحجاج الكنانية.

---

١ . فتوح البلدان للبلاذري ١٢٢.
٢ . معجم البلدان ٢/ ٢٣٧.
٣ . ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٥، الاستيعاب ٢/ ٥٦٩، أسد الغابة ٢/ ٢٥٠، العقد الثمين ٤/ ٤٩٦.
٤ . ترجمته في: الاستيعاب ١/ ٢٨٣، أسد الغابة ١/ ٣٢١، العقد الثمين ٤/٤، تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٤٣٩، الإصابة ١/ ٢٧٦.
٥ . الطبقات الكبرى ٤/ ١٩٥.

أنها عائلة كريمة، أنقذها الله تعالى من خدمة الأصنام وتعظيمها إلى تعظيم الله سبحانه وتعالى، وخدمته، والتشرف بعبادته، فكانت نموذج الأسر المجاهدة الصابرة، المثابرة، المهاجرة في سبيل الله، فراراً بدينها وتأييداً لنبيها.



القصور الإسلامية

قصر الحلابات في الزرقاء والموقر موطن الخليفة يزيد بن عبد الملك والخرانة وعمره وعين السل والطوبة وبرقع وحمام السراج وقصر الأزرق الأيوبي الذي بناه القائد الإسلامي عز الدين أيبك

تنتشر في الأراضي الأردنية الكثير من القصور الإسلامية، وأكثرها يجسّد الطابع الأموي، إذ اهتموا بها بناءً وترميماً، وقد يتبادر إلى الأذهان أنها جميعاً بنيت بقصد اللهو والصيد فقط، وهذا إجحاف؛ لأن أكثر هذه القصور بلا شك كانت مصممة لتستخدم كحصون دفاعية، ومحطات استراحة وتزوّد بالماء والمؤن؛ لوقوعها على طريق الحج والتجارة من وإلى بلاد الشام والحجاز، وتدل آبار تخزين المياه المنتشرة على أن هناك أهدافاً زراعية؛ لاستصلاح الأراضي وزراعتها، ومما لا ينكر أن بعض الرسومات الجدارية على بعض هذه القصور يدل على اللهو، إلا أنها قد تكون دخيلة، والخلاصة أنها تنقسم إلى نوعين، فمنها ما كان يستخدم للإقامة في رحلات الصيد التي كان يقوم بها الخلفاء الأمويون، ومنها ما كان يستخدم كمقر لخدمة الحجاج وقوافل التجارة وحمايتها أثناء استراحتها على الطريق الطويل، وبعض هذه القصور في الزرقاء، وغالبها في الجنوب الشرقي لعمان؛ وأهمها:

أولاً: قصر الحلابات في الزرقاء: يقع على بعد ٢٥ كيلومتراً من مدينة الزرقاء، فوق تلة على ارتفاع ٦٤٠م، وأقيم عند الركن الجنوبي الشرقي للقصر مسجد، وتدل الشواهد الأثرية على أن أصل بنائه قصر الحلابات كان نبطياً، أما آثاره الظاهرة فتعود إلى العصر الروماني، حيث بنيت مع قلاع أخرى لضمان حماية الطرق الشرقية، وتوجد بضع كتل من الحجارة نحتت عليها، رسوم أشكال وزهور، والقصر مزين بالفسيفساء والرسومات وفيه نقوش مكتوبة باليونانية تعود للعصر البيزنطي.



ثانياً: الموقر موطن الخليفة يزيد بن عبد الملك: تقع الموقر في الجهة الجنوبية الشرقية من عمان، وتبعد عنها حوالي (٣٠) كم؛ ولأهميتها التاريخية أخذت الموقر اسمها؛ إذ لفظ الموقر مأخوذ من التوقير والتبجيل أو التعظيم؛ فقد سكنها الخليفة يزيد

بن عبد الملك، في بداية القرن الثاني الهجري؛ فتنادى الناس بلفظ الموقر، وسمي المكان به.

تعتبر من المواقع الأثرية التي تؤرخ إلى فترات متكررة منذ العصر الحجري، وحظيت المنطقة سابقاً بأهمية بالغة من النواحي الزراعية، تمثلت بإقامة قنوات المياه والبرك لتجميع مياه الأمطار، وذلك للاستفادة منها للأغراض الزراعية وتربية المواشي؛ فقد بلغت منطقة الموقر أوجه ازدهارها في الفترات الإسلامية، وخاصة الفترة الأموية، ولقد تغنّى الشعراء بالموقر وأهلها؛ ومن شعرهم:

١. قال الشاعر مروان بن أبي حفصة:

إن بالشام بالموقر عزاً ... وملوكاً مباركين شهودا
سادة من بني يزيد كراماً ... سبقوا الناس مكرمات وجودا

٢. وقال كُثَيِّر :

سَقَى اللهُ حَيّاً بالمُوَقَّر دارُهُمْ ... إلى قَسْطَلِ البَلْقاءِ ذاتِ المَحارِبِ

٣. قال جَريرٌ :

أَشاعَتْ قُرَيْشٌ للفَرَزْدَقِ خَزْيَةً ... وتِلكَ الوُفودُ النّازِلونَ المُوَقَّرا
عَشِيَّةَ لاقَى القَيْنُ قَيْنُ مُجاشِعٍ ... هِزَبْراً أَبا شِبْلَيْنِ في الغِيلِ قَسْوَرا

٤. وقال آخر:

أذنت علي اليوم إذ قلتُ إنني ... أحب من أهل الشام أهل الموَقر
بها ليل شهمٌ عِصمةَ الناس كلهم ... إذا الناس جالوا جَولة المتحير

والمُوَقَّر والقسطل موضعان متجاوران[1]، كان يزيد بن عبد الملك يَنْزِلُه[2]، وذكر ابن عساكر[3] أنه حصن بالبلقاء، ومن العلماء الذين ينسبون إلى الموقر أبو مرجى القرشي الموقري : وقد روى عن أبي أمامة الباهلي حديث النبي : (يا ابن آدم! لك ما نويت، وعليك ما اكتسبت، ولك ما احتسبت، وأنت مع من أحببت، ومن مات بطريق كان من أهل ذلك الطريق)، توفي سنة أربع وستين وثلاثمائة.

ثالثاً: قصر المشتى: يبعد عن عمان (٣٢ كم) إلى الجنوب الشرقي منها، ويتفق معظم الباحثون أن طراز البناء يعود إلى العهد الأموي، وهو قصر فسيح يتميز بالعقود والقناطر، ومن المؤكد أن هذا القصر لم يكتمل بناؤه وينسبه علماء الآثار إلى الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، ويعتبر من أهم المعالم الأثرية التي لا تزال قائمة حتى الآن؛ ومن أجمل ما فيه من الناحية الفنية الزخارف المحفورة في الحجر الجيري في الواجهة الجنوبية، وكان ارتفاع هذه الواجهة ستة أمتار، وقد أهدى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٣ هذه الواجهة إلى القيصر غليوم، وفي سنة ١٩١٢ سمح لبعثة

١ . معجم ما استعجم ٣٤٧/١.
٢ . تاج العروس ١ / ٣٦١٦.
٣ . مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٤١٥.

ألمانيـة أن تأخـذ هـذه الواجهـة الأماميـة منـه، وأصـبحت نـواة القسـم الشـرقي للمتحـف الإسلامي في برلين.



رابعاً: قصر الخرانة: يبعد هذا القصر الأموي عن عمـان إلـى الشـرق ٥٥ كـم، بنـي سنة ٩٢ هـ /٧١٠م في خلافة الوليد بن عبد الملك، وهـو مـن أهم الآثـار؛ إذ يعتبـر مـن المباني التي لا تزال محتفظـة بكامل بنائها إلـى حد مـا، وهو مربـع الشكل يبلـغ طولـه ٣٥م، ويتكون من طـابقين، ويتكـون مـن ٦١ غرفـة، ويتميـز البنـاء بهندسـته المعماريـة التي تجعله شبيهاً بالقلعة، ويقوم في كل زاويـة مـن زوايـاه بـرج دائـري، وآخـر نصـف دائري يقع بين كل زاويتين.



خامساً: قصر عمره: يبعد إلـى الشـرق مـن عمـان بحـوالي ٨٥ كـم، وهـو مـن الأبنيـة الأموية الجميلة، ويعتبر تحفه فنية معماريه إسلامية نادرة في قلب الصـحراء؛ لاحتـواء جدرانه الداخلية على رسومات، وعلـى الأرضيات الفسيفسائية، ويضم أحد الحمامـات، ويشـتهر بقبتـه الرائعـة وزخارفـه الجميلـة، والرسـوم التـي تمثـل مشـاهد مـن رحـلات الصـيد، ويتكـون هـذا البنـاء مـن قاعـة رئيسـية للاسـتقبال، وعلـى جـدران لملـوك، وفـي ساحته بئر ماء كان يتم رفـع المـاء منهـا بواسطة سـاقية قديمـة، وكـان المـاء ينسـاب فـي الممرات الفخارية تحت أرضية القصير لتدفئة البناء، وينسب هذا البنـاء إلـى الوليـد بـن عبـد الملـك فـي الفتـرة الواقعـة مـا بـين (٨٦-٩٦ هـ)، إلا أن الـبعض الآخـر بنسـبة إلـى الوليد بن يزيد.



سادساً: قصر عين السل: يبعد عن الأزرق حوالي ١٧٥٠ متراً باتجاه الشمال الشرقي، وهو أحد القصور الأموية؛ مربع الشكل؛ يبلغ طوله ضلعه ١٧م، بني من حجارة البازلت السوداء، يقع هذا القصر في وسط مزرعة تابعة له، ويوجد في جهته الغربية حمام يتألف من ثلاثة أو أربعة غرف، ومن هنا تبرز أهمية هذا القصر، ويدل على انتشار بناء الحمامات في الفترة الأموية.



خامساً: قصر الطوبة: يقع قصر الطوبة على بعد ٩٥ كيلو من عمان، ويقع إلى الجنوب من قصر الخرانة، وهو قصر ضخم؛ أنشئ من الآجر المشوي بالنار، ويعتبر هذا القصر من القصور الأموية الخالدة التي حافظت على جزء كبير من بنائها، رغم تعرضه للكثير من عوامل التعرية، ويقع على إحدى الطرق التجارية والتي كانت تربط البلقاء مع شمال الجزيرة العربية، ويرجع تاريخ هذا القصر إلى عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد.



سادساً: قصر برقع: أحد القصور الأثرية الإسلامية يقع شمال غرب منطقة الرويشد، بما يقارب ٢٥ كم، وتقع الرويشد إلى الشمال الشرقي من الأردن، على الطريق المؤدي إلى بغداد، وقد بني من حجارة البازلت السوداء المتوفرة في تلك المنطقة،

كونها من مناطق الحرة، ويعود تاريخه إلى سنة٧٠٠م، أي في فترة حكم الوليد بن عبد الملك، ويتمركز هذا القصر على الضفة الشرقية لسد برقع.



سابعاً: حمام السراج: يقع إلى الشرق من قصر الحلابات، أنشأه الأمويون منطلقاً منه لرحلات الصيد والقنص، ويحتمل أنهم أنشأوا فيه بعض الحمامات كما يدل اسمه، ويشبه في طراز بنائه إلى حد بعيد قصر عمرة.



ثامنا: قصر الأزرق الأيوبي بناه القائد الإسلامي عز الدين أيبك: تقع مدينة الأزرق بجوار شجرة الباقوعية التي استظل الرسول ﷺ تحتها، وهي واحة يانعة؛ لما تحتويه من مياه عذبة، وتتميز بأشجار النخيل؛ فتضفي عليه الظلال والخضرة، بالإضافة إلى وقوع هذه الواحة عند بوابة وادي السرحان.



وفيها قلعة بناها القائد الإسلامي عز الدين أيبك أمر بعمارة هذا القصر سنة ٦٣٤ هجرية.

الخاتمة

وبعد؛

فإن الأردن كشجرة؛ لا شرقية ولا غربية؛ باسقة في الطول؛ سيقانها، صنوان وغير صنوان، تسقى بماء واحد، طيبة العطر، وارفة الظل، عمادُها النبوة، وشرفُها الأصالة، وأوراقها شمائلُ مَن تحت القبة الخضراء ثوى، ثمرها، وظلّها يعجب الزراع، ويغيظ الكافرين، ويسر الناظرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

إنه لا يمكن للشجرة أن ترتفع في السماء فروعها إلا إذا ضربت في الأرض جذورها، ولقد آن الأوان أن تظهر مكنوزاتُ الأردن؛ فهلا انبرى طالب علم؛ يربط الجديد بالقديم؛ ويبرز ما كاد يندرس من تاريخنا العريق؛ وفاءً لحقهم، وتجديداً للعهد، وتشييداً للبنيان، وإعادة رسمه إلى الأذهان؛ ولا يمكن للأردنيين أن يستوردوا الثقافات، وأجدادهم سطروا التاريخ بأحرف من نور، أضاء ما ادلهمّ من الخطوب.

والحمد لله رب العالمين

المحتويات